التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 111 السنة الخامسة عشر - فبراير 2017

الوضع المعيشي مفتوح على أسوأ الاحتمالات

«التقدمي» يودع المناضل النقابي محمد مهدي عيّاد 02

البحرين تتراجع إلى المركز ٧٠ عالمياً في مؤشرات الفساد 07

الحوار المجتمعي والخروج من النفق 09

موقفنا

الحـل الوطني للأزمة

تتالت في الفترة الأخيرة مجموعة من التطورات الأمنية والسياسية المقلقة، تثير المخاوف من أن تنزلق البحرين نحو مسارات لا يرتضيها أي مخلص لوطنه وشعبه، ومن ذلك إصابة الفتى مصطفى حمدان إصابة بالغة بطلق ناري في رأسه في قرية الدراز، وما زال يرقد في غرفة العناية القصوى بالمستشفى في وضعٍ حرج، ولم يجرِ الكشف حتى اللحظة عن ملابسات ذلك، والجهات المتورطة في إطلاق النار، وبعد ذلك بأيام انشغل الرأي العام بمقتل الملازم أول بوزارة الداخلية هشام الحمادي في عمل إجرامي مدان ومرفوض شعبياً ووطنياً.

جمعيات التيار الوطني الديمقراطي الثلاث أدانت في بانٍ لها الدعوات غير المسؤولة إلى التصعيد والعنف والكفاح المسلح، مشددة على رفض تلك الدعوات ومن اي جهة أتت، ومؤكدة على ضرورة الانتباه جيداً إلى منطلقاتها وبواعثها، وضرورة الاستفادة من التجارب والدروس السابقة ومما يجري في دول الإقليم، داعية أبناء شعبنا لعدم الانجرار وراء تلك الدعوات الخطرة، حفاظا على استقرار البحرين وحالة السلم الأهلي فيها.

وننطلق في هذا الموقف المبدئي من ضرورة حماية وطننا وشعبنا من المخاطر الكبيرة المحدقة، وتجنيبه مصير ومآلات خطيرة العواقب، كتلك التي شهدتها وتشهدها بلدان عربية شقيقة لنا، ومن إدراكنا لكون الجنوح نحو العنف إساءة بالغة لنضالات شعبنا وتشويه لمطالبه السلمية العادلة وتعارض مع قيمنا الوطنية ونهجنا المعروف في النضال السلمي المشروع من أجل حقوق شعبنا وإنجاز تحول ديمقراطي جدي في بلادنا.

وسيؤدي الدفع بالبلد نحو خيارات العنف والمواجهة إلى خلط الأوراق وتعزيز حالة الانقسام المجتمعي وتغذية النزعات المذهبية والطائفية المَرضية وتعميق الأزمة السياسة الحادة التي تعيشها البلاد منذ ست سنوات، دون أن تلوح في الأفق بوادر حل وطني بات ملحاً للخروج منها، الذي نثق بأنه الطريق الآمن المجرب لإنقاذ البلد والمجتمع من الخطر.

التقدمي

«التقدمي» يودع المناضل النقـابـي محمـد مهـدي عيّـاد

ما أقسى الموت حين يأتي مباغتاً، ويفاجئنا في أكثر مشاعرنا اطمئناناً ودعة، وما أقساه حين ينتخب أناساً قريبين من أرواحنا وقلوبنا على حين غرة، كما فعل مع رفيقنا العزيز محمد مهدي عيّاد، ففي فجر يوم الجمعة الموافق 31 يناير 2017 رحل عن دنيانا (أبوعلي)، الذي لا نتخيل أن يكون مكانه شاغراً في ندوات المنبر التقدمي وأنشطته.

كان خبر رحيله علينا صاعقا، بدون أن يودع الأهل والرفاق والأصدقاء، وكأنه يريد أن يقول لا أريد إزعاجكم، وكأنه يتوقع الوقع المؤلم لاحتمال مثل هذا على نفوسنا وقلوبنا، فحتى في موته تبرز خصاله الطيبة، حيث أن التواضع والتواصل الاجتماعي مع الجميع جزء أصيل من قيمه الإنسانية والإخلاقية في زمن غابت فيه مثل هذه القيم والصفات.

نشط الرفيق الراحل في صفوف اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني (أشدب) والاتحاد الوطني لطلبة البحرين (أوطب) في الخارج عندما كان يواصل تعليمه الجامعي ليحصل على دبلوم في التأهيل المهني من جامعة خاركوف في الاتحاد السوفيتي، كما كان عضواً فعالاً في نادي باربار الرياضي والثقافي، وعضواً في مجلس إدارته لأكثر من دورة، وفي مرحلة الانفراج السياسي في فبراير من عام 2001 ساهم في تأسيس العديد من منظمات المجتمع المدني والسياسي: المنبر التقدمي، ونقابة العاملين في وزارة الأشغال والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، حيث ناضل من أجل حرية العمل النقابي في القطاع الحكومي بوجه العقبات الكثيرة التي وضعت للحيلولة دون ذلك.

وكان لصيقاً بالناس من أبناء شعبه، سواء في مسقط

رأسه قرية باربار، أو في مكان سكنه بمدينة حمد، ويتذكره رفاقه في المنبر التقدمي منخرطاً نشطاً في فعاليات التنظيم ولجانه، ومثابرته على أنشطته، ولا ينسون جهوده الكبيرة في الحملات الانتخابية لدعم مرشحي "التقدمي" في الانتخابات النيابية والبلدية.

رحل (أبوعلي) عنا مبكرا وترك الحسرة والألم على فقدانه في نفوس وقلوب أفراد عائلته الرائعة، زوجته الرفيقة (أم علي) وأبنائه وفي نفوس أقاربه ورفاقه وأصدقائه. ستبقى ذكراك خالدة رفيقنا الغالي.

محمد مهدي عيَّاد

نجم الوفا
يمنوّر اف ليل السفر
يمسافر ويا الخير
وهموم البشر
يا حالم ونهجك وتر
تبكَى أبد
ما ينسى أصحابك
أبد طيب أثر

شعر ـ عبد الصمد الليث

فضفضة

عن الغائب فجأة

عيسى الدرازي

هناك بعض الأشخاص وجودهم مسلم به وتواجدهم مضمون دائماً رغم تقلبات الظروف. وفجأة ودون سابق إنذار لا يتواجدون في الصورة، حرفياً يتم اختطافهم ويرحلون عن دنيانا.

أبو علي، محمد مهدي عياد، شخصية تجدها في كل مكان وأي مكان ودائماً ما يكون متواجداً في أحد زوايا المكان كأنه حزء من صورة هذا المكان، ولكنه رحل عنا فجأة وكأنما يخطرنا بأنه هناك فرقاً شاسعاً بين الوجود في الصورة والاختفاء منها.

أبو علي، من الشخصيات التي حملت النشاط الحزبي على محمل الجد واعتبره واجباً وطنياً وليس عملاً تطوعياً وتمضية أوقات الفراغ، بعد اليوم ستكون مداخلات المتداخلين في الندوات والمؤتمرات العامة واللقاءات الداخلية دائما ما سينقصها صوت احدهم، ستكون ناقصة لمداخلته هو.

شخصياً لم أكن شاهداً على فترة نضاله ونشاطه قبل الألفية لأننا ببساطة لم نكن نتوقع مثل هذا الرحيل، وكنا نعول على الوقت ليمهلنا حتى نستطيع ان نلملم شتات تاريخنا وأوراق أدبياتنا، ولكن الوقت ليس دائما صديقاً حميماً، أحياناً يكون بيده خنجر يضرب الخاصرة ويفجعك في وقت كنت تعتقد بأنك صادقته ونلت رضاه. وأمثال محمد مهدي عياد كثر، لديهم في ذاكرتهم الكثير وقد عانوا في حياتهم النضالية المرار، وقاموا بأمور في تلك الفترة تعتبر جبارة، ولكننا نتعذر بالوقت المتاح، وحتى بتنا نستصغرها الأن حيث يكفي 140 حرفاً لنكتب ما نريد ويقرأه الآلاف إن لم يكن الملايين.

تواجد محمد مهدي عياد ليس فقد في فعاليات وأنشطة المنبر التقدمي فحسب، بل تواجده في فعاليات جمعية الشبيبة البحرينية أيضاً كان أمراً مسلماً به، وكلماته والتشجيعية كانت حافزاً معنوياً للأعضاء والعاملين ضمن طاقم مجلس الإدارة، وكان دائم التأكيد على أنه لا يمكن الاستسلام للظروف الراهنة والعمل يجب أن يستمر والعطاء يجب أن يصل إلى أقصاه، وثمار ذلك ستكون في المستقبل.

بالطبع كنا نأخذ كلماته ونحترمها ونقدرها، ولكننا نستسلم للظروف المختلفة مجبرين حيناً ومتغافلين أحياناً كثيرة، إلا ان مثل هذا السفر المفاجئ يجبرك على التذكر والندم لعدم تنفيذ ذلك في حينه، وتحول التوجيه لوصية تنفيذها سيكون إكراماً لذكراه.

جمعيات التيار الوطني الديمقراطي ترفض الدعوات إلى العنف و«الكفاح المسلح» وتحذر من مخاطرها

أدانت جمعيات التيار الوطني الديمقراطي بشدة الدعوات غير المسؤولة الداعية إلى التصعيد والعنف والكفاح المسلح في البحرين، مشددة على رفض تلك الدعوات ومن اي جهة كانت، ومؤكدة على ضرورة الانتباه جيدا الى منطلقاتها وبواعثها، وضرورة الاستفادة جيدا من التجارب والدروس السابقة ومما يجري في دول الإقليم داعية ابناء شعبنا في ذات الوقت لعدم الانجرار وراء تلك الدعوات غير المسؤولة، حفاظا على استقرار البحرين وحالة السلم الأهلي فيها، وحماية لوحدة شعبنا في وجه تلك الدعوات التي لا طاقة لشعبنا وبلادنا بها في ظل جملة الأوضاع المحلية والإقليمية المضطربة كما ان فى هذه الدعوات إساءة بالغة الى نضالات شعبنا وتشويه لمطالبه السلمية العادلة وتتنافى مع قيمنا الوطنية والسياسية والحضارية التى كانت وستبقى الموجه لفكرنا وعملنا السياسى فى كل الأحوال والظروف.

لقد حذرنا في جمعيات التيار الديمقراطي ومعنا طيف واسع من القوى والشخصيات الوطنية الحريصة على وحدة ومستقبل بلادنا من جر البلاد إلى مستنقع العنف والعنف المضاد، بغية الحفاظ على أرواح الأبرياء وصيانة وحدة شعبنا تجاه دعوات الانقسام والتشرذم، والتي تتبدى مخاطرها جلية في التفرد في فرض إرادة فوقية على الجميع تتجاوز مصالحنا الوطنية ووحدة شعبنا وامنه واستقراره.

اننا ندعو كل القوى الخيرة من قوى سياسية وشخصيات ومؤسسات مجتمع مدني وجهات رسمية إلى ضرورة الانتباه جيدا الى ما يطرح في هذه الفترة الحرجة من دعوات ومشاريع لا ترقى إلى مصالح شعبنا وضرورة التحسب جيدا لتداعياتها الخطيرة، كما نجدد دعوتنا الصادقة إلى ضرورة الاحتكام للعقل والحكمة، والدعوة لتحقيق إرادة شعبية جامعة عبر حوار وطني جامع يستجيب لمطالب شعبنا العادلة نحو الحرية والتسامح والوحدة والديمقراطية بعيداً عن سطوة القبضة الأمنية في التعامل مع هذه المطالب المشروعة، والمضي قدما نحو بناء الدولة المدنية الديمقراطية واحترام حقوق الانسان وإلغاء كافة مظاهر التمييز والمسارعة إلى مداواة جراح شعبنا عبر مشروع وطني جامع للمصالحة الوطنية، ووقف كافة التدخلات الخارجية في قرارنا الوطني تعزيزا لسيادة واستقرار بلادنا.

جمعيات التيار الوطني الديمقراطي
جمعية التجمع القومي
جمعية المنبر التقدمي
جمعية العمل الوطني (وعد)

المنامة 17 يناير 2017

وتطالب بتحقيق شفاف في حادثة إصابة الفتى مصطفى حمدان في الدراز بطلق ناري

دعت جمعيات التيار الوطني الديمقراطي : التقدمي، وعد، القومي إلى فتح تحقيق واسع وشفاف حول الهجوم الأخير في قرية الدراز الذي أدى لإصابة الفتى مصطفى حمدان، وفي كل مزاعم التعذيب وإنتهاك حقوق الإنسان على إمتداد الحقب السابقة وتقديم مرتكبي تلك الإنتهاكات إلى العدالة، تمهيداً لتحقيق المصالحة والوطنية والإنصاف لضحايا كافة المراحل الأمنية في تاريخ البحرين.

وكانت مجموعة مسلحة ملثمة قد أقدمت فجر يوم الخميس الماضي الموافق 26 يناير 2017 (لم تكشف السلطات الامنية حتى الآن عن هويتها) على مهاجمة المعتصمين سلمياً في قرية الدراز مما أسفر عن إصابة مصطفى حمدان البالغ من العمر 17 عاماً إصابة خطيرة في الرأس.

وتشكل هذه الاصابة المؤلمة انتهاكاً لجملة من الحقوق التي نصت عليه المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، وأهمها ما نص عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من وجوب إحترام حق الإنسان في الحياة، وإتفاقية الحقوق السياسية والمدنية التي نصت على إحترام حق الإنسان في التعبير عن رأيه بكافة السبل والوسائل المشروعة ومن بينها التجمعات السلمية، كما تشكل هذه الإصابة إنتهاكاً صارخاً لإتفاقية حقوق الطفل والمواثيق الدولية ذات الصلة، حيث أن إستخدام الرصاص الحي في مواجهة المتظاهرين سلمياً، لا يمكن اعتباره تعاملاً حكيماً هدفه فض إعتصام أو التعامل مع مواطنين محتجين.

ويأتي هذا التطور المقلق في سياق التداعيات الناجمة عن استمرار الحصار المفروض على قرية الدراز كعقاب جماعي منذ أكثر من مائتي يوم، وهو حصار يسبب الكثير من المعاناة الانسانية لأهالينا في هذه القرية، فضلاً عن انه لا يستقيم مع أي قانون أو منطق، ويخلق جواً مشحوناً له الكثير من النتائج السلبية التي تؤخر الحل السياسي الذي يحقق الإستقرار والهدوء والمصالح المشتركة لشعب البحرين.

قوى التيار الوطني الديمقـراطي تجـدد دعـوتها لحوار وطنـ

أصدرت جمعيات التيار الوطني الديمقراطي: المنبر التقدمي وجمعية وعد والتجمع القومي البيان التالي:

تلقينا في جمعيات التيار الوطني الديمقراطي، بصدمة وحزن كبيرين تنفيذ أحكام الاعدام في الشبان سامي المشيمع وعباس السميع وعلي السنكيس، شأننا في ذلك شأن قطاعات شعبية واسعة والمنظمات الحقوقية ومؤسسات المجتمع المدني، رغم المناشدات الكثيرة التي أطلقت قبيل تنفيذ هذا الحكم بضرورة إعادة النظر فيه، من منطلق الحرص على تفادي الارتدادات السلبية الكثيرة له، من الجوانب الحقوقية والانسانية، وعلى صعيد دفع الأمور في البحرين نحو المزيد من الاحتقان الأمني والسياسي، وتشجيع الاستقطاب المذهبي المضر بالوحدة الوطنية والعيش المشترك بين مكونات الشعب البحريني.

إن ما حذرت منه جمعياتنا وكل القوى والشخصيات الوطنية والفعاليات المجتمعية من تداعيات تنفيذ الاعدام في الشبان الثلاثة قد ظهر واضحاً في ردود الفعل الشاجبة والمستنكرة والمُدينة لهذه الخطوة، ليس داخل البحرين فقط، وإنما من قبل المنظمات الحقوقية والمعنية بحقوق الانسان في العالم، خاصة وأن ذلك أتى منافياً لما نصت عليه المادة 6 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية بشان الغاء عقوبة الاعدام، وهو ما حثت اللجنة البحرينية المستقلة لتقصي الحقائق برئاسة المستشار محمود شريف بسيوني على مراعاته في احدى توصياتها.

وأتى تنفيذ احكام الاعدام في وقت تزداد فيه الحاجة في البحرين إلى إطلاق مبادرة شجاعة لطي صفحة الأزمة السياسية العميقة التي تعاني منها البلاد منذ عام 2011، ترمي إلى فتح حوار وطني حقيقي وجاد لبلوغ توافقات واضحة بين القوى السياسية المعارضة والدولة، ووضع حد للمعالجة الأمنية للملفات العالقة، وهي معالجة يبرهن تاريخ البحرين نفسه على أنها لا تقود إلا إلى المزيد من الانسداد والتأزيم، بدل المعالجة المسؤولة لجذور الأزمة ومسبباتها وتفادي تكرارها في المستقبل.

وجمعيات التيار الوطني الديمقراطي الحريصة على منهج النضال السياسي السلمي من أجل تحقيق الاصلاح السياسي الجذري في البلاد، والتي سبق لها، إن في بياناتها المنفردة أو المشتركة مع كافة القوى السياسية، ان أدانت كافة ممارسات العنف، تؤكد التزامها بهذا المبدأ، وتحذر من الانجرار وراء منزلق العنف، حماية لوطننا وشعبنا من المخاطر المحدقة جراء ذلك.

ونحن اليوم في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها شعبنا أحوج ما نكون إلى رفض ومحاربة كافة أشكال التأليب الطائفي وبث روح التشفي والانتقام وتمزيق

د.أنيسة فخرو تحاضر في «التقدمي» عن:

المثقـف بين الأنـــا والآخـــــر

استضاف ملتقى التقدمي الأسبوعي الباحثة الدكتورة أنيسة فخرو في محاضرة بعنوان: المثقف بين الأنا والآخر"، استهلتها بتعريف المثقف على أنه «ناقد اجتماعي يحلل ويعمل على تجاوز العوائق، للوصول إلى نظام اجتماعي أكثر عقلانية، وأكثر إنسانية، والمثقف حصيلة تفاعل مؤسسات 3 هي: المؤسسة الأسرية، والنظام السياسي، بمؤسساته الدينية والتربوية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والمخابراتية والإعلامية، والمجتمع المدني والأهلي بمختلف مؤسساته أيضا».

وأردفت: «ولكي نخلق المثقف لابد من توفير الجو المناسب والبيئة الصحيحة لوجوده والتي من أهم سماتها الحرية، فالتفكير المرن المتفتح المبدع لا يمكن أن ينتعش في جو الاستبداد والتسلط، سواء استبداد السلطة السياسية أو الاجتماعية التي تتمثل في المعتقدات والعادات والموروث».

ـــــي جاد يخرج الوطن من محنته

وحدة المجتمع، وأن نتمسك بالوحدة الوطنية والتوافق الوطني والتعامل مع الأزمة الراهنة بحكمة وعقلانية. ومن أجل تحقيق ذلك، فأن الحاجة تزداد الحاحاً إلى أن تغلب الدولة منطق الحوار والمصالحة، وأن تنأى عن خطوات التصعيد الأمني بكافة صوره، والذي لم يثبت جدواه طوال السنوات الست الماضية بل أنتج المزيد من التداعيات الخطيرة. كما ندعو للعودة إلى مبادئ وروح ميثاق العمل الوطني الذي صوت عليه شعبنا بأغلبيته العظمى ونص على الانتقال نحو الديمقراطيات العريقة والتي أحد مبادئها الرئيسية احترام حقوق وكرامة الانسان وحقه في الحياة وإلغاء عقوبة الإعدام وبناء حياة حرية كريمة تقوم على أسس المساواة والعدل والدولة المدنية الديمقراطية.

مناشدة

وكانت الجمعيات الثلاث قد استبقت تنفيذ حكم الاعدام بتوجيه مناشدة إلى جلالة عاهل البلاد بوقف تنفيذه في بيان أصدرته بهذا الخصوص جاء فيه: «إن قوى التيار الوطني الديمقراطي وانطلاقاً من مواقفها الوطنية الصادقة وحرصها على سلامة الوطن وأمنه واستقراره وإحقاقاً للحق والعدالة التي تقرها كل المواثيق والأعراف الدولية والقيم الإنسانية تناشد جلالة الملك بوقف قرار الإعدام وعدم المصادقة عليه لتجنيب بلدنا كل التداعيات السلبية والخطيرة لمثل هذا القرار.

وأكدت المحاضرة على «أن الثقافة لها جانبان: كمي ونوعي، الجانب الكمي في الثقافة هو المتمثل في الغث والسمين فيها، فالغث يتمثل في عدد المثقفين الذين يمارسون الثقافة التجارية الاستهلاكية، والسمين يتمثل في عدد المثقفين الذي ينتجون الثقافة الراقية، أما الجانب النوعي فنعني به فقط الثقافة المتمثلة في إنسانيتها الأصيلة والتي تعطي الفن الإنساني الإبداعي الخالد».

وعددت خصائص الثقافة في التالي:

«الشمولية، الاستمرارية، والتعقيد، والتكامل، والانتقائية، والتغيير، الذي غالبا يحدث في العناصر المادية أولاً ثم يأخذ وقتًا أطول حتى يصل إلى العناصر اللامادية للثقافة، والعناصر المادية نعني بها كل ما يصنعه الإنسان، أما العناصر اللامادية فهي المتمثلة في: المفاهيم والقيم والأفكار المثالية».

كما ذكرت فخرو أن «المثقفين أنواع، فالأنبياء أمثال: النبي محمد والنبي عيسى، والعلماء والفلاسفة أمثال: ابن رشد وابن سينا والفارابي وابن خلدون وأفلاطون وأرسطو وجاليلو وجان جاك روسو وفولتير وأديسون، والمثقفون الأدباء أمثال: نجيب محفوظ ونزار قباني وإحسان عبدالقدوس وتوفيق الحكيم، والمثقفون السياسيون أمثال: جمال عبدالناصر وجورج حبش ونيلسون مانديلا وغيرهم مئات، فالمثقف هو من يترك بصماته على المجتمع كله، أمثال طه حسين ومحمد عبده وأمين قاسم الذين لولاهم لما حصلت المرأة على العلم والتعليم في الوطن العربي كله».

جواد المرخي

كيف ينشأ الفقر؟

ينتشر الفقر في ربوع العالم بما فيها الدول الغنية بالثروات والدول الصناعية الكبرى خصوصاً في ظل السياسات النيوليبرالية، حيث تكون الأولوية للاستحواذ على الأسواق العالمية والمزيد من تعزيز قبضة الاقتصاد الرأسمالي على الاقتصاديات القومية العالمية مع إيجاد طرق وسبل للاستغلال الأمثل لثروات الشعوب وترسيخ هيمنة البرجوازية الرأسمالية العالمية وتفشي لمبدأ استغلال الانسان لأخيه الانسان بطرق وقوانين من خلال فرض قيود على دول العالم في سياسة الانفتاح الاقتصادي العالمي والذي من خلاله تزداد الأرباح الطائلة في كف الأغنياء الذين يمثلون الأقلية على مستوى دول العالم بما ان هناك تزداد المحن للغالبية العظمى من الشعوب بما فيهم الفقراء والمشردين والعاطلين في كل القارات وهذا حتماً يؤثر على حيات الطبقة العاملة في الجوانب المعيشية.

هناك تحليلان لظاهرة الفق، الأول يستند على المبدأ العلمي للنظرية الماركسية، والثاني ينطلق من المنظور الميتافيزيقي.

الأول يرى أن ظاهرة الفقر ناتجة عن هيمنة الاقتصاد الرأسمالي على العالم القائم على الاستغلال البشع للطبقات الكادحة من قبل الطبقة الرأسمالية التي تشرع لنفسها أحقية استغلال الإنسان لأخيه الانسان بدون قيود من خلال الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج مع تملك الأراضي والبحار والمزارع والمصانع، والاستحواذ على الثروات مع استغلال قوة العمل لجموع الكادحين الذين يعملون بالأجر، وعليه فإن الفقر سوف يوجد طالما أن النظام الرأسمالي مهيمن، والخلاص هو في بناء النظام الاشتراكي الذي يحقق الملكية العامة لوسائل الإنتاج.

وتعمل الرأسمالية وحلفائها في العالم بكل ما يملكون من وسائل إعلامية متطورة في سبيل الهيمنة على القرار الاقتصادي والسياسي في سبيل استدامة الاستغلال، موهمين الشعوب بأن النظام الرأسمالي لا يد له في إفقار الناس، بل أن الفقر هو ظاهرة طبيعية أبدية ولا يمكن للبشر ان تعيش بدون فقراء وأغنياء، وتجد مثل هذه الأفكار رواجاً في صفوف القوى التي تؤمن بذلك بسبب سطوة الأفكار الميتافزيقية والتي بدورها تعمل على تغييب الوعي الحقيقي في صفوف الطبقة العاملة وسائر الشعوب المضطهدة.

إن مسالة الاستغلال الاجتماعي والطبقي قد ظهرت في البنية الاقتصادية والسياسية ابتداء من مرحلة الرق وقد تطور هذا الاستغلال في مرحلة الأقطاع وتوسع مع ظهور الطبقة البرجوازية مع الثورة الاقتصادية، حيث توسع نفوذها وخرجت من النطاق القومي إلى العالمي في مرحلة الإمبريالية التي وصفها لينين بأنها أعلى مراحل الرأسمالية.

اذاً فظاهرة الفقر والعوز والبطالة ما هي إلا سمة من سمات جذور النظام الرأسمالي العالمي وليست ظاهرة طبيعية لا مفر منها كما يزعم مريدو الفكر الميتافيزيقي.

محطات

يحررها: خليل يوسف

من حولوا الأزمة إلى فرص

مصالح البحرين لا تتحقق بالشعارات والوعود والأصوات المرتفعة، وإنما بالحوار والمنطق والحسابات الدقيقة وفى غرف مغلقة بعيداً عن المزايدات والأجندات واقصاء الاخرأو شيطنته، والذهنيات التى لا همَ لها ولا هدف سوى أن لا يكون هناك توافق ولا رؤية لأفق للحل، والسبب بسيط: هناك من حوّل أزماتنا الى فرص ..!!

سؤال عن الديمقراطية

هل يمكن لمن يطالب بالديمقراطية أن يستبد برأيه ويستصغر آراء الاخرين، أو يسئ الى من يعملون عنده إذا

كان صاحب عمل أو يأكل حقوقهم، ويسئ إلى زوجته أو من يعمل فى بيته أو إلى زملائه ورفاقه..!!

الجميع مع الديمقراطية، يطالبون بها، ويستميتون فى الدفاع عنها، ولكنهم ينسون أن الديمقراطية سلوك وفكر وممارسة قبل كل شأن.

كم دفعنا ضريبة الكلام ..!

كم هم مضحك أو باعث على التندر حين نسمع من وزير أو مسؤول أي حديث عن «استراتيجية» .. أو «إعادة هيكلة» ، أو عبارة «بناء على توجيهات» أو «انسجاماً مع تعليمات» أو «توافقاً مع رؤية 2030»، ويضاف إلى تلك القائمة عبارة «مكتسبات المواطن لن تمس» ..

ذلك كله كلام مضحك لأننا نكتشف كل يوم أن ذلك كلام فى كلام، من النوع الذي قال عنه نزار قباني «كم دفعنا ضريبة الكلام».

البرلمان الفرجة!!

كم كنا ولا نزال نتمنى أن يكون برلماننا برلمان فكر وعقول ومواقف، برلماناً يمثل الشعب تمثيلاً حقيقياً، لا برلمان «فرجة»، ولا نقول أكثر من ذلك.

يا قدس

عيوننا ترحل إليك كل يوم ..
لأجلك يابهية المساكن يازهرة المدائن .
هكذا غنت فيروز، وأنشدت ..
عيوننا ترحل إليك كل يوم ..

أتأمل ذلك الكلام وأتساءل: هل يمكن حقاً ان نستعيد القدس؟، وهل باتت القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى..؟

تأملوا الوضع العربي الراهن، وتأملوا حال القضية التى كانت يوماً قضيتنا الأولى، هى فعلاً كذلك فى القمم العربية، وفى تصريحات المسؤولين التى تلقى بمناسبة ذكرى النكبة أو فى غيرها من المناسبات .. المعضلة أنه لاشئ يدعوا الى التفاؤل حتى الآن على الأقل .. يا لضياع قضية العرب الأولى.

ماذا يعنى ذلك ؟

لاحظوا ما يحدث فى الصحافة .. صفحات الرياضة تتزايد وتتضاعف، وقضايا الناس تتقزم، وصفحات سافر وغادر وودع واستقبل وأشاد ووجه وأكد .. تأخذ الجزء الأكبر. حقاً الصحافة انعكاس للواقع ..!

البحرين تراجعت إلى المركز ٧٠ عالمياً

نحن والفساد ..

خليل يوسف

«أظهرت سنة 2016 أن الفساد المنهج وأوجه إنعدام المساواة الاجتماعية يعزز أحدهما الآخر فى شتى أنحاء العالم، الأمر الذى يؤدى الى خيبة أمل الشعوب فى المؤسسات السياسية ويوفر أرضاً خصبة لصعود قيادات سياسية شعبوية».

هذا بعض مما خلصت إليه منظمة الشفافية الدولية حين أطلقت مؤخراً تقرير مؤشر مدركات الفساد 2016، والذى كان من بين اهم مظاهره انتشار وضخامة حجم الفساد فى القطاع العام حول العالم، وازدياد عدد الدول التى انحدرت فى المؤشر الذى شمل 176 دولة، وكانت إشارة ذات مغزى حين أشار رئيس المنظمة هوزيه اوغاز إلى أن الناس قد طفح كيلهم من وعود الساسة الجوفاء والكثيرة حول مكافحة الفساد، وهناك ساسة وعدوا بكسر حلقة الفساد والمحسوبية فيما الواقع يمشى نحو زيادة المشكلة.

وأضاف الرجل يضيف: «فى البلدان التى يتولى أمرها قادة شعبويون أو مستبدون، كثيراً ما نرى النظام الديمقراطي يتدهور، مع أنماط مقلقة من محاولات قمع المجتمع المدنى والحد من حرية الصحافة وتقويض استقلالية القضاء بدلاً من التصدى لرأسمالية المحاسيب، وعادة ما يفرض مثل هؤلاء القادة أشكالاً أسوأ من النظام الفاسدة ..»

ترتيب دول مجلس التعاون الخليجية على مؤشر مدركات الفساد لعام2016مقارنةب 2015 و 2014

الدولة	عدد المصادر 2016	النقاط من 100			الترتيب الدولي			الترتيب العربي			الترتيب الخليجي		
		2016	2015	2014	2016	2015	2014	2016	2015	2014	2016	2015	2014
قطر	7	61	71	69	31	22	26	2	1	2	2	1	2
الأمارات العربية	8	66	70	70	24	23	25	1	1	1	1	1	1
السعودية	5	46	52	49	62	48	55	3	4	4	3	3	3
البحرين	5	43	51	49	70	50	55	3	5	6	4	5	3
الكويت	5	41	49	44	75	55	67	6	7	7	5	6	6
عمان	5	45	45	45	64	60	64	5	8	6	6	4	5

ترتيب الدول الخليجية بمؤشر مدركات الفساد لعام 2016

م	الدولة	عالميًا	خليجيًا	عدد مراكز التراجع
1	الإمارات	24	6	1
2	قطر	31	5	8
3	السعودية	62	4	14
4	عمان	64	3	4
5	البحرين	70	2	19
6	الكويت	75	1	20

والمنظمة فى تقريرها ترى أنه لا تكفى الإصلاحات التكنوقراطية الجزئية، كوضع التشريعات وحدها لمكافحة الفساد، المطلوب بشكل ملح هو إصلاحات عميقة وممنهجة تزيل اختلال السلطة والثروة المتزايد، عن طريق تمكين المواطنين من إيقاف الإفلات من العقاب واسع النطاق فى قضايا الفساد، ومحاسبة اصحاب المناصب الفاسدين، وأن يكون للمواطن دور فعال فى القرارات المؤثرة على حياته».

ذلك الذى دعت إليه المنظمة وجدته ينطبق أو يكاد على دول تشمل على التوالى الدنمارك ونيوزيلندا والسويد ثم فلندا، القاسم المشترك بين هذه الدول التى تصدرت الترتيب فى المؤشر هو وجود حكومات شفافة، وحرية صحافة، وحريات مدنية، ونظم قضائية مستقلة.

المؤشر أشار إلى انحدار كل الدول العربية، وبين انها تزداد سوءاً ، واعتبر 6 دول عربية من أكثر الدول فساداً حول العالم بسبب انعدام الاستقرار السياسي والنزاعات الداخلية والحروب وتحديات الإرهاب وكلها أمور تغذى الفساد، وفى المقدمة منه الفساد السياسي، وبالنسبة لدول الخليج فقد عزا المؤشر تراجع دول الخليج العربي إلى الهيمنة على الأنظمة السياسية والاقتصادية، وتقييد الحريات العامة، وعدم وجود مؤسسات مجتمع مدنى نشيطة وفعالة، وعدم الوضوح فى الموازنات العامة والصرف العام.

يهمنا ما يتعلق بالبحرين، فقد كان لافتاً تراجعها على أكثر من صعيد، فقد تراجعت من المركز 50 إلى المركز 70 عالمياً، ومن المركز الخامس إلى المركز السادس عربياً، ومن المركز الرابع إلى المركز الخامس خليجياً، ولعل الجمعية البحرينية للشفافية قد لامست الاقتراحات والمطالب والمباردات التى من شأنها أن تحدث تطوراً نوعياً على صعيد مكافحة الفساد، ومهمة بهذا الحجم والأهمية فى هذا الواقع الذى لا يحتاج الى توصيف، الأمر الذى يفرض جعل هدف محاربة وباء الفساد فى مقدمة الأولويات، فالجمعية تدعو فى هذا السياق إلى الالتزام بتنفيذ اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد، وتنفيذ توصيات ديوان الرقابة المالية والادارية، واستخدام مجلس النواب صلاحياته فى مراقبة أداء الحكومة وإصدار التشريعات التى تعزز من المواجهة مع الفساد، وإنشاء هيئة وطنية مستقلة لمكافحة الفساد، وإصدار قانون حق الحصول على المعلومات، وتأسيس هيئة مستقلة ودائمة لمراقبة الانتخابات العامة وكل ما يتعلق بها من توزيع الدوائر وسجل الناخبين حتى إعلان النتائج، والعمل على حل المشكلة السياسية وتعزيز الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير بما يساعد على إبداء رأي الناس فى أداء المؤسسات والجهات الحكومية والاقتصاد بحرية أكبر.

ياترى هل من اهتمام بمراجعة اسباب تراجع البحرين فى مؤشر مدركات الفساد ؟، وهل ثمة جدية فى معالجة هذه الأسباب ؟، وهل يمكن الأخذ ولو بالحد الأدنى من متطلبات المعالجة والتصدي للفساد من تلك التى دعت اليها جمعية الشفافية ؟، وهل يمكن التعويل على برلماننا فى القيام بدور حيال كل أوجه الفساد والعابثين بالمال العام ؟ ، وأخيراً هل هناك إرادة لمحاربة الفساد ؟ ، اسئلة تظل تبحث هى إجابات..!!

الوضع المعيشي مفتوح على أسوأ الاحتمالات

واقعنا الاقتصادي والمعالجات المطلوبة

عبد النبي سلمان

ليس من باب المبالغة القول إن جملة الأوضاع الاقتصاية في البحرين تبدو مفتوحة على الكثير من الاحتمالات، بل أسوأ الاحتمالات، خاصةً ونحن نحاول كمتابعين ومهتمين ان نفهم طبيعة السياسات الاقتصادية والمالية المتبعة في البلاد، وتحديداً منذ التراجع المريع في أسعار النفط منذ أكثر من ثلاث سنوات. نقول سياسات اقتصادية أو مالية، ونحن لا نعلم حقيقة إذا كان هناك ثمة سياسات أو استراتيجيات واضحة المعالم للتعاطي مع الشأن الاقتصادي والمالي في البلاد.

علينا أن نعترف بأن كل مؤشرات أوضاعنا الاقتصادية تبدو مقلقة جداً، وينتابها الارتباك والتخبط والفردية وردات الفعل غير المدروسة، على الأقل هذا ما أظهرته تصريحات كبار المسؤولين المتواترة وغير الحصيفة أحيانا كثيرة، وهي لذلك تبدو غير مستندة على وقائع وأرقام حقيقية أو حتى تقترب من الواقع، وهناك اعتبارات لازالت غائبة أو مغيبة في ظل حالة التعتيم وانعدام الشفافية المرتبطة بجوهر تلك السياسات.

وأول تلك تلك المؤشرات التي يمكن ملاحظتها هوما يرتبط بغياب وصدقية مؤشرات بعينها مثل معدلات الفقر والبطالة ومستوى الأجور ومخرجات سوق العمل ومؤشرات الاستثمار، وأي استثمار يحتاجه اقتصادنا الوطني بالفعل، وقدرة وتنافسية وجاذبية هذا الاقتصاد، وهل ما يعلن رسميا من مؤشرات نمو هي مؤشرات حقيقية فعلاً أم هي مجرد أرقام لا تستند إلى واقع معاش، وماذا عن حجم الطبقة الوسطى ومعدلات نموها أو تراجعها خلال السنوات الماضية، وفي خضم كل ذلك، وبالإشارة إلى ما تطرحه رؤية 2030 الرسمية المعلنة منذ سنوات، يحق لنا ان نتساءل هل نحن فعلا أمام رؤية حقيقية تصيغ واقعاً اقتصادياً واجتماعياً متفائلا للبحرين؟!

ربما نعرف حجم المديونية العامة للدولة والتي تضخمت مراراً بصورة متسارعة خلال السنوات الخمس الماضية حيث بلغت حتى الآن أكثر من تسعة مليارات دينار، أي ما يزيد على 23 مليار دولار أميركي، ونكاد لا نملك أدلة أو حتى مبررات مقبولة لذلك التضخم والذي يعزى كثيرا وببساطة بالنسبة للجانب الرسمي فقط لسد العجوزات في الموازنة العامة للدولة، لكن لا يوجد هناك من يقنعنا حقيقة لماذا ترتفع عجوزات الموازنة العامة حتى في ظل وجود فوائض مالية، وتحديداً عندما كانت أسعار النفط تعانق السماء حيث بلغت 120 دولارا للبرميل.

لا يكفي، بل من غير المقبول أساساً أن نقول بإن تضخم الباب الأول في موازنة الدولة، وهو الباب المعني بأجور ومستحقات العاملين في القطاع العام، هو السبب،لأن ذلك يعني أن الحكومة التي كانت لديها حرية مطلقة في ادارة الاقتصاد الوطني طيلة أكثر من أربعة عقود قد فشلت فشلاً ذريعاً في إدارة وتنويع مصادر دخل البلاد، حيث لازالت عوائد النفط تشكل اكثر من 85٪ من عوائد الدولة، كما انها قد فشلت في معظم ما قدمته من برامج وخطط خلال عقود تمتد منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي وحتى الآن!!

وفي ذات السياق يحق لنا أن نتساءل أين هي برامج وخطط الدولة في تنظيم سوق العمل وفي تمكين قدرات أبناء وبنات البحرين الذين أصبحوا أقلية تستجدي بكل أسف الوظائف وفرص العمل في ظل تخلي الدولة رسمياً وعبر أكثر من مسؤول عن مشاريع البحرنة، وعلينا أن نتساءل أين هي تلك المشاريع التي تحدثت عن اعطاء دور أكبر للقطاع الخاص، وعن إعطاء أولوية الوظائف للبحرينيين، أو تلك التي سارعت الى الأخذ ببرامج الخصخصة دون أن تعطي اهتماما مستحقا لما أحدثته من ارتدادات اجتماعية خطيرة، علها تجد مخرجاً ينجيها من تبعات الأزمات التي أضحت متأصلة في بنية وهيكلية الاقتصاد الوطني لبلد صغير في مساحته وعدد سكانه، والذي بحسب المؤشرات الرسمية، يزيد قليلاً عن المليون نسمة فقط.

أليس في ما نقول واقعاً مُعاشا يشي بالخوف من المستقبل عندما يعلن وزير مالية البحرين وأمام السلطة التشريعية قبل أكثر من ثلاث سنوات أن استمرار أسعار النفط عند حاجز ال 40 دولارا يعني أن الدولة ستصبح عاجزة عن دفع رواتب موظفيها، ها نحن نصل إلى ما سبق وحذرنا منه نتيجة الاستفراد بالقرار والخضوع المستمر لتوجهات صندوق النقد والبنك الدوليين دون وعي أو حتى مجرد ادراك لما جرته تلك التوجهات المدمرة التي سبقتنا إليها شعوب ودول أضحت فعلا في خبر كان، ورغم ذلك لا أحد في الجانب الرسمي يريد ان يسمع!

المواطن العادي يتساءل بحرقة وخوف من القادم خاصة عندما تعلن الدولة تحت ضغط الأزمة المالية عن توقف الزيادة السنوية لرواتب العاملين في القطاع العام، ليصار إلى إلغاء ذلك القرار خلال أقل من أربع وعشرين ساعة بتوجيهات ملكية، ويريد أن يعرف أكثر إلى أين ستتجه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في القادم من الأيام والسنوات إذا ما استمرت أسعار النفط الشريان الوحيد، عن ضخ سيولة كافية في عروق الاقتصاد الوطني، كما تتساءل شرائح واسعة عن حقيقة أوضاع التأمينات الاجتماعية وما سيجره ذلك من تبعات خطيرة على المتقاعدين وأسرهم.

بل لا نبالغ حين نقول إن طبقة رجال المال والأعمال هي الأخرى تتساءل عن طبيعة القادم من الأيام وما تحمله اليها من مخاوف حقيقية، خاصة في ظل سياسة التقشف المعلنة والتي ابتدأت بخطوات خجولة لرفع الدعم عن السلع الأساسية والمحروقات وتعرفة الكهرباء والماء والخدمات والمزيد من رفع رسوم الخدمات الأساسة كالصحة والمرور ورسوم مغادرة المسافرين والسجلات التجارية وغيرها، وتوقف او تأجيل الانفاق على العديد من المشاريع الحيوية، ما يعني حرمان الناس من تطوير مطلوب في منسوب ومستوى الخدمات العامة التي يفترض أن تقدمها دولة الرعاية ضمن التزاماتها الدستورية والأخلاقية تجاه مواطنيها والمقيمين فيها، والأسوأ من ذلك زيادة كلفة تلك المشاريع المستقبلية والتي حتما سيدفعها المواطن على حساب خبز أبنائه وصحتهم وتعليمهم!!

في ظل هكذا أوضاع اقتصادية تتداخل بشدة مع أزمة سياسية حادة ومعقدة نتيجة الاصرار دون منطق على المضي في الحلول الأمنية الى ما لا نهاية، وفي ظل المراهنة غير المجدية على استمرار حالة الاحتقان والانقسام المجتمعي، لا يبدو أفق البحرين واعداً رغم مساحيق التجميل الرخيصة التي يضفيها البعض على واقع كواقعنا الاقتصادي والسياسي المأزوم، ولا يبدو معها الحل ممكناً أو حتى قريبا بكل أسف.

مثل هذا القرار لن يكون مستحيلا إذا ما توفرت الارادة والشجاعة في اجتراح حلول عاجلة تقوم على الشراكة في صوغ ورسم القرار الوطني والمضي في مشروع مصالحة وطنية حقيقي لا يقبل الفشل أو الإقصاء لأي من مكونات وأطراف وشرائح الوطن، ولا يستند على ولاءات مصطنعة لا ترقى لاحترام الوطن وتاريخه، ويرفض بشكل واضح أي نوع من التدخلات الخارجية في قرارنا الوطني، ويؤسس لحوار وطني شامل يأخذ في الاعتبار حاضر ومستقبل الوطن بعيدا عن حدة الاستقطابات والصراع العقيم المدمر لبعض القوى والأجنحة والتيارات، وعلينا أن نراقب ونفهم جيدا طبيعة ومرامي ما يكتنف عالمنا ومحيطنا واقليمنا من نزاعات هي الأشرس والأصعب والأخطر، والتي بدورها تفرض علينا الالتفات جيداً لمعالجات جوهرية ومطلوبة لواقعنا الاقتصادي والسياسي والاجتماعي قبل فوات الأوان.

الحوار المجتمعي والخروج من أول النفق

أثناء أتون أحداث فبراير ٢٠١١ عرض سمو ولي العهد الحوار بين الأطراف المختلفة في البحرين. كانت تلك فرصة تاريخية في أوج حراك عنيف تشهده المنطقة كلها. ولكن العرض قوبل بصراخٍ عال تمكن من تغليبه طرفان يقفان على أتم النقيض: الطرف الأول يرى النظام في البحرين يترنح ويشرف على السقوط وأن كل ما في الدولة يمكن ابتلاعه بالإجهاز على النظام قياسا لما آل إليه نظام بن علي ونظام مبارك حينها. وطرف آخر يرى أن أي حوار يعقد في ظل تهديد الدولة والاستقواء بالخارج هو خيانة واستسلام وكسر للهيبة التي إن ضاعت في فبراير فلن يتمكن أحد من استردادها مستقبلا. وقد انتهت أحداث فبراير وآلت الأحوال إلى ما آلت إليه. وغلبت الرؤية المتطرفة على مفهوم الحوار، فغاب.. ليس على الصعيد السياسي فقط، بل في شتى المناحي التي تحتاج حواراً حقيقيا.

د. انتصار البناء

(تَخَلّق) المفهوم السائد للحوار في البحرين في رحم أزمة فبراير. والأزمات لا تغذي إلا الأجنة المشوهة. فالحوار كما يحاول متطرفو الأزمة في البحرين بمختلف اتجاهاتهم تصويره هو أن يتنازل الطرفان: النظام، والمعارضة ذات الطابع الشيعي ويقبلا بالجلوس معا على طاولة واحدة ويناقشا تقاسم أركان الحكم!!. والحوار بهذا المفهوم يُحجم قضايا البلد في ملف ضيق هو ملف (تداول السلطة وتقاسمها) وهي قضية ترفض غالبية الشعب البحريني الخوض فيها لأنها تدرك جيدا أنه ليس موضوعا للمزايدات وأن البت فيه يحتاج إلى سنوات انتقالية بمشروع سياسي توافقي لا يخلخل استقرار البحرين ولا يؤثر على علاقة البحرين بالمنظومة الخليجية الداعمة لها. بالتالي؛ فإن المخيال الشعبي العام في البحرين صار يرتاب من مصطلح (الحوار) لأنه بُني على ركيزتين (التنازل، والفوضى) اللتين لا يقبل بهما أحد.

وفي ظل الفراغ السياسي (الأهلي) الهائل والموحش يبدو من الصعوبة بمكان تغيير (المخيال الجمعي) لمفهوم الحوار. فأغلب الجمعيات والتكوينات الثقافية أحجمت بشكل شبه تام عن مناقشة أي قضية تمس شأنا سياسياً واكتفت بتناول القضايا الثقافية أو الاجتماعية أو الفنية. إذ أن السياسة صارت سبباً في التفكيك أما الموضوعات الأخرى فقد صارت وسيلة لإعادة لم شمل المجتمع الذي تعرض لمحاولة تشطير وتمزيق.

والجمعيات السياسية نفسها صارت تغرد في أسراب لا علاقة لها بالشأن العام وبالمستجدات في البلد.

وصار ملفتا أن تقيم بعض الجمعيات السياسية في البحرين أمسيات وندوات وتجمعات لدعم القضية السورية ولا تفتح مقرها لمناقشة ارتدادات الأزمة الاقتصادية على مستقبل المواطن البحريني!!. أليس النقاش في الأزمة الاقتصادية التي استدعت إجراءات تقشفية في كل دول الخليج بابا من أبواب الحوار يتم توعية المواطنين فيه بأسباب الأزمة، ويتم مشاركة ذوي الخبرة الاقتصادية في مدى نجاعة إجراءات دولنا في مواجهة الأزمة، ويتم فيه اقتراح بدائل لبعض الإجراءات، وقراءة مستقبل دول الخليج في ظل مختلف المتغيرات؟؟ أليس ذلك حوارا ؟!!

الجمعيات المهنية وجمعيات النفع العام تدلي بتصريحاتها في وسائل الإعلام ولا تنظم ندوات ولقاءات وحوارات حول القضايا الهامة التي تمس المواطنين. ثمة قوانين كثيرة تخص العمالة الوافدة تم تغييرها ولا يعلم أكثر المواطنين بكيفياتها. ثمة مقترحات لقوانين جديدة في مجال التأمين الطبي وفي قضايا الأحوال الشخصية وفي مزايا التقاعد والترقي الوظيفي لا يتحاور فيها أصحاب المعرفة والموقف مع أصحاب الشأن (المواطنين). ذلك أن مفهوم الحوار بعناصره المكونة وبامتداداته المؤثرة تقلص في قوقعة محدودة فتلاشت أدوار الكثير من صناع الحوار في البحرين وخرجت كثير من الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية المهمة عن موقعها الصحيح في التداول بين الناس.

كل ذلك يمكن تفهمه وتأويل مسبباته بأنه انعكاس مؤقت لما بعد 2011 التي عصفت بالمنطقة العربية كلها وليس البحرين فقط. ولكن ما يصعب استساغته هو الصبغة التحريضية والتصعيدية التي صارت سمة للحوار العام في الشأن البحريني. فقد خلفت الأحداث العربية القاسية وغياب دور (العقلانية) البحرينية روحا أقرب للغرائزية في معالجة الأمور. فأي حدث طارئ في البحرين تُفاجئك المجاميع القابعة خلف الحسابات الإلكترونية أو في المنابر المتطرفة أو المجالس العامة بمناقشته من أبعاد طائفية أو تخوينية أو مشككة وبمشاعر غاضبة وناقمة.

هذه الروح هي التي تم بها مناقشة زيارة الوفد الصهيوني للبحرين ورقصه في المنامة. وهي نفسها التي تم تداول قضية الفتاة قتيلة الرفاع، وهي نفسها التي تم الحديث بها عن تنفيذ حكم الإعدام على المتهمين بقتل الضابط الإماراتي واثنين آخرين من رجال الأمن. وهي ذاتها المنطقية التي يتم بها مناقشة قضية التجنيس وقضايا الفساد وإهدار المال العام، وقضايا التعيينات في المناصب العامة.

فجميعها كانت حوارات افتقدت في كثير من الأحيان المنهجية والموضوعية والعقلانية، وأحيانا.... افتقدت حتى الإنسانية. وكل تلك القضايا السابقة تمر بها كل المجتمعات باختلاف تركيباتها وتاريخها وظروفها. ولكن (شكل) الحوار فيها واتجاهاته ومغازيه يأخذ بعداً مخالفا لما يمكِن من حلها.

من هنا تبرز أهمية تصحيح مفهوم (الحوار) في البحرين، بإعادة بعثه بين المكونات الثقافية والاجتماعية والسياسية في البحرين برعاية من الجهات العقلانية وليس بتوجيه من (لوبيات) تويتر والواتساب، ولا بتأثير من بعض الشخصيات الانتهازية التي تقتات على الأزمات. فالحوار يعني أن تفهم مشكلاتك أولاً، وأن تصنفها في خانة المشكلات.

وأن تنتقي منها ما يمكن تسميته قضية وليس أن تحول كل حدث عابر إلى قضية تحشد عليها الجماهير وتغلق بها الشوارع. والحوار هو أن تمرن أذنيك على سماع جميع الآراء وأن تروض مشاعرك على أن تتسع لاستيعاب وجهات نظر الآخرين معاناتهم التي قد تتصادم مع طبيعة معاناتك الذاتية.

الحوار هو صياغة ملفات متكاملة تجمع عليها الأغلبية وتتناقش موضوعيا في تفاصيلها الأقليات. والحوار يفشل قبل أن يبدأ حين يصمم على مقاسات فئوية وحين يدجج بملاقط تقتنص مصالح ذاتية.

وحين يعود الحوار الشعبي في البحرين فيقبل نوابنا البرلمانيون الجلوس مع ممثليهم ومناقشة مشروعاتهم وردودهم على أجندات المجلس النيابي، وحين يستمع وزراؤنا للنقد البناء من قبل الموطنين، وحين يعبر كتابنا وصحفيونا عن قضايانا بمصداقية، وحين.... حينها نصبح مؤهلين لمناقشة قضايانا الكبرى ويصبح الحوار مع السلطة آمنا ومطمئنا لكافة أطياف المجتمع بأنه قادر على الخروج بالبحرين من أزماتها السياسية.

بصراحة

شيء من تاريخ الحركة الطلابية البحرينية

فاضل الحليبي

المحطة الأولى: أول نواة لتشكيل إتحاد للطلبة في الداخل

في إحدى مقالاته عن تاريخ حركة القوميين العرب ذكر الكاتب بدر عب الملك ، بأن أول من اهتم بتأسيس اتحاد للطلبة في داخل البحرين من قبل الطلاب الجامعيين هم أعضاء الحركة من العائدين من جامعة القاهرة في صيف عام 1963، يُفهم من ذلك أن الحركة هي التي بادرت في تأسيس اتحاد طلابي، ولكن، وللأمانة التاريخية، أود أن أشير إلى أنه وفي فبراير من عام 2004 وبمناسبة الذكرى ال 49 لتأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية نظم المنبر التقدمي، في مقرنا القديم بمنطقة الزنج، ندوة تحدث فيها القائد الوطني الراحل الرفيق أحمد الذوادي، وأدرتُ الندوة آنذاك، وفي تلك الندوة ذكر رفيقنا الراحل أبو قيس العديد من المعلومات القيمة ولأول مرة، ومن ضمن ما قاله في الندوة ، بأن "جتوب" أسّست اتحاداً لطلاب الثانوية وكان معظم أعضائه من أبناء العوائل الميسورة والمعروفة في البحرين، جاء تأسيسه بعد شهور من تأسيس التنظيم في 15 فبراير 1955، ومما قاله رفيقنا أبو قيس في تلك الندوة، أنه نظراً لانشغالهم في الاهتمام ببناء الخلايا التنظيمية والتركيز على العمل الحزبي الداخلي، صُرف النظر عنه بعد عدة أشهر من مزاولة نشاطه، وكذلك لالتحاق العديد من أعضائه الطلبة بالجامعات والمدارس الثانوية في الخارج لمواصلة تعليمهم الثانوي والجامعي.

المحطة الثانية: اتحاد طلبة الداخل

بعد المرحلة الاولي في تشكيل أتحاد للطلبة من قبل «جتوب» أُسست شبيبة جتوب الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الداخل في 16مارس 1968 ، وقد كتبنا عنه أكثر من مرة، حيث صدرت له نشرة بإسم (صوت الطلبة) وتعرض كوادره و أعضاءه للاعتقال والملاحقة والفصل من المدارس، وقاد الإضرابات الطلابية في فبراير من عام 1973، واستمر نشاطه حتى عام 1974.

المحطة الثالثة: الاتحاد الوطني لطلبة البحرين

في 25 فبراير من هذا الشهر تمر الذكرى الخامسة والأربعون على تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في 25 فبراير عام 1972، حيث عقد المؤتمر التأسيسي في دمشق، من الأطراف الطلابية الوطنية الممثلة للعديد من الروابط الطلابية خارج البحرين، فبسبب غياب التعليم الجامعي في البحرين، كان الطلبة البحرينيون يواصلون دراستهم الجامعية في الخارج.

وإذ نحيي هذه الذكرى المجيدة في تاريخ شعبنا والحركة الطلابية البحرينية بشكل خاص، نريد أن ندون شيئاً من تاريخ الاتحاد الوطني لطلبة البحرين (أوطب) ومن صفحات نضاله المضيئة ليتعرف عليها هذا الجيل. فقد جاء تأسيس "أوطب" بجهود طلاب الحركة الوطنية البحرينية الذين كانوا يدرسون في العديد من الجامعات العربية والأجنبية بعد سنوات من الحوارات بين ممثلي الروابط الطلابية في الخارج حيث بدأت فكرة التحضير والإعداد منذ عام 1968، وبالرغم من التباين والاختلاف بين تلك الأطراف لأسباب عدة، إلا أن الطلبة استطاعوا تغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية من أجل الهدف الوطني الأسمى وهو توحيد جهودهم في إطار وطني طلابي نقابي موحد يدافع عن مطالب وحقوق الطلبة الدارسين في الخارج.

وكان "أوطب" يستمد قوته من الالتفاف الطلابي حوله والدعم الذي تقدمه له الحركة الوطنية البحرينية بصفته رافداً من روافدها. كما جاء في مقدمة دستور أوطب، لهذا عملت السلطة في البحرين طوال سنوات نشاطه التضييق على أعضاءه من خلال المنع من السفر والملاحقة والاعتقال، حيث حرم العديد من كوادره ونشطاءه من مواصلة تحصيلهم الجامعي بسبب الحرمان من السفر بعد سحب جوازات السفر، كما أسست السلطة في بعض البلدان (أندية طلابية) بديلاً عن فروع أوطب، وأغدقت على أعضاءهم بالمال وتنظيم الرحلات السياحية المكلفة مادياً، وغيرها من المزايا التي يحصلون عليها بعد التخرج، وبالرغم من التضييق ومحاصرة أنشطته في

الداخل وعدم السماح له بعقد أي مؤتمر من مؤتمراته السبعة في داخل البحرين، واستمر نشاطه حتى نهاية الثمانينات من القرن الماضي، أصدر نشرة مركزية بإسم (المسيرة) كما أصدرت فروعه العديد من النشرات الطلابية .

عندما تقلص أعداد الطلبة الدارسين في الخارج بسبب فتح جامعة البحرين في عام 1986، والعديد من المعاهد والجامعات، إضافة إلى ما تمَّ ذكره أعلاه ، أدى إلي انحسار أنشطة وفعاليات أوطب وتوقف في نهاية الثمانينات من القرن الماضي.

ومن المهم بأن نذكر الدور الوطني والنقابي الذي قام به "أوطب" طوال تلك السنوات من خلال إدخال الوعي الوطني في صفوف الطلبة الدارسين في الخارج، الذين لم يتأثرون بالطائفية البغيضة والأحقاد، كان يجمعهم الوطن وقضاياه وهمومه، كانوا الطلبة سفراء البحرين في الخارج ، وكان الاتحاد الوطني لطلبة البحرين مصهراً للوحدة الوطنية للطلبة من كافة التحدرات، كمرآة طلابية للحركة الوطنية العابرة للطوائف.

ونجد اليوم العديد من أعضاء وكوادر "أوطب" السابقين وقد أصبحوا من قيادات وكوادر جمعيات التيار الوطنى الديمقراطى وكما استفادت الدولة من التخصصات الأكاديمية والمهنية وغيرها التي حصل عليها أعضاء أوطب بعد التخرج من الجامعات العربية والأجنبية.

ملاحظة:

تجدر الإشارة هنا إلى ما ذكره الكاتب بدر عبد الملك في مقالاته المنشورة في (جريدة الأيام) بأن حركة القوميين العرب أسست إتحاداً للطلبة في عام 1963، و إبان انتفاضة مارس 1965 المجيدة كان يوقع مع القوى السياسية على البيانات والمناشير الصادرة، كما تشكلت في الداخل في بدايات الثمانينات وفي سنوات لاحقة العديد من اللجان الطلابية.

(قف)

بيانات البطالة الرسمية لا تتطابق مع معدلاتها الحقيقية

فهدالمضحكي

التشريعات والقوانين العمالية المتقدمة تحمي حقوق العمل كمواطنين، ولا تضع أية قيود على الاستخدام أو تسمح بالتفاوت في الأجر لاعتبارات الجنس أو القومية أو الأصل الاجتماعي. كما أنها لا تستدعي المساءلة القانونية فقط بل تصل إلى حد المساءلة الجنائية فضلاً عن تحديدها لمسئولية الإدارة في تطبيق القوانين العمالية.

والأكثر من ذلك، فإن تلك التشريعات والقوانين لا تضمن للمواطنين حق العمل فقط بل أيضاً حق اختيار المهنة أو الوظيفة او نوع العمل بما يتفق مع ميولهم وقدراتهم وتدريبهم وتعليمهم. وتتوفر الفرص للحصول على معارف خاصة من خلال نظام التدريب المهني والحرفي الاختياري والتدابير المقررة لرفع مستويات المهارة وتدريب الأشخاص في مجالات جديدة.

وعلى الجانب الآخر ثمة دساتير تنص على أن حق العمل مكفول لجميع أفراد المواطنين القادرين على العمل، ومع ذلك يكشف الواقع الفعلي زيف هذا الكلام غذ نجد معدل البطالة اعلى بكثير ممن «المعدل الرسمي» ومثل هذه المغالطات نجدها وبنسب متفاوتة في مجتمعاتنا الخليجية والعربية، فهي لا تساعد في التعرف على معدل البطالة الحقيقي وذلك للوصول إلى حلول فعلية بعيدة عن» المسكنات « التي تبرهن على عدم جدواها طالما ان مشكلة البطالة تتفاقم باستمرار!

ويمكن القول بان هذه الأزمة وابعادها مستمرة في الدول الخليجية بغض النظر عن أنواع «روشتات» العلاج التي تستخدمها هذه الدول ونقلاً عن وكالة أبناء البحرين «بنا» 2015، استعرضت مجلة غلوبال فاينانس في تقريرها نسب البطالة في مختلف دول العالم منذ عام 2010 وحتى 2015، ومن بينها مملكة البحرين حسب البيانات والإحصاءات الصادرة عن منظمة العمل العالمية، حيث تعتبر البطالة ظاهرة عالمية، وخاصة بين الإناث، والتي تتركز في فئة الشباب ما بين 15 –24 سنة، كما تطرق التقرير إلى الأسباب المختلفة للبطالة، ومنها التسرب من التعليم الأساسي والفقر والحاجة والوضع الاقتصادي وعدم كفاية القدرات الشخصية والمهارات المهنية اللازمة لدى العاطلين ومواكبة مستجدات ومتطلبات سوق العمل، وغير ذلك من الأسباب وفي تعليق على ما نشرته مجلة «غلوبال فأننا سوف أكد وزير العمل والتنمية الاجتماعية جميل حميدان أنه على الرغم من الإحصاءات التي قامت بها المجلة المتخصصة فقد اعتمدت بيانات تشير إلى نسبة البطالة في البحرين 4.2٪ لعام 2015، وهي نسبة تفوق تلك التي حققتها البحرين على أرض الواقع خلال هذا العام وهي 3.1٪.

بصراحة يصعب الحديث عن معدلات البطالة في ظل إحصاءات متباينة تفتقد إلى المصداقية والشفافية، صحيح ان المجلة المذكورة إشارات على ان البحرين الثانية عربياً بين الدول الآفل في معدلات البطالة في عام 2015، ومع ذلك هناك واقع لا يمكن ان تتجاهله او تتجنبه وهو ان البطالة حسب تقرير دافوس – وان كان يعود إلى الربع الأخير لعام 2014 – تشكل 7.4٪، وان الشباب يمثلون نسبة 27.5٪ من اجمالي البطالة! وتأتي البحرين في المرتبة الثانية بين دول مجلس التعاون من حيث نسبة البطالة، وتأتي عمان في المركز الثالث تليها كل من الأمارات والكويت وقطر.

وبالرغم من أهمية التأمين ضد التعطل يتمكن العاطلين من الاستفادة من الاغاثات المقررة عن العمل.

لكن الحقيقة المؤسفة أن معدل البطالة في البحرين وفق البيانات والإحصاءات غير الرسمية تكشف عن عدم قدرة الدولة على علاج هذه المشكلة التي تعتبر من أخطر المشكلات لما لها من لآثار سيئة على الفرد والمجتمع.

والحقيقة المؤسفة الأخرى هي أن علاج هذه المشكلة يظل ناقصاً بل ومتعثراً طالما أن قاعدة البيانات الرسمية عن البطالة مغلوطة لا تتطابق مع معدلاتها الحقيقية!

قراءة في واقع الحركة النقابية البحرينية (١٢)

كما بينا في الحلقة السابقة بأن تحول اللجنة العامة لعمال البحرين إلى اتحاد عام لعمال البحرين في ١٧ يوليو ٢٠٠٢ جاء خارج القانون الذي يحكم عملها والنظام الأساسي لها، ومخالفا لكل الأعراف والمفاهيم النقابية التي تبنتها منظمة العمل الدولية وأصدرتها في اتفاقياتها المختلفة، والسائدة في مختلف الدساتير والقوانين النقابية والعمالية العربية والعالمية، وجاء خارج الإطار الذي وضعته اجتماعات رؤساء اللجان العمالية ورؤساء النقابات العمالية التي تشكلت بعد صدور قانون النقابات العمالية في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢، الإطار الذي كان يهدف إلى وضع التصورات التي تتوافق مع ظروفنا في البحرين لتأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، وكان الإعلان عن التحول إلى اتحاد عام عمال البحرين صدمة للقيادات في الساحة العمالية والنقابية فاقمت من حدة الخلافات والصراعات فيها.

آلية تشكيل اللجنة التحضيرية وتفاقم الخلافات مجددا حولها

وما أن بدأت الاتصالات واللقاءات فيما بين النقابيين أنفسهم، وبينهم وبين المهتمين بالعمل النقابي والتشاور مع بعض السياسيين وبعض ممثلي الاتحادات العربية، التي كانت تهدف إلى احتواء الحدث والحد من اتساعه وانعكاسه سلبا على الحراك النقابي وللوصول إلى التفاهم ووضع رؤية متفق عليها من قبل جميع الأطراف، ولتفويت الفرصة على الأطراف صاحبة المصلحة في عدم تلاحم الصف العمالي والنقابي، بل مصلحتها في تعميق الخلافات بينهم، ومع بروز بوادر الوصول إلى تفاهمات بين مختلف الأطراف ومع استبشار الجميع بعودة الهدوء إلى الساحة النقابية بسبب اللقاءات التي تمت لاحتواء الخلافات، فوجئ الجميع بقرار الاتحاد العام لعمال البحرين بفرض مبدأ التعيين في آلية تشكيل اللجنة التحضيرية لتأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين.

إبراهيم القصاب

حدث ذلك أثناء عقد لجنة رؤساء النقابات العمالية في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2003، اجتماعا في مقر الاتحاد العام لعمال البحرين، ناقشت فيه الإجراءات التحضيرية لعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، حين قدمت نقابة «ألبا» مشروع انتخاب اللجنة التحضيرية للمؤتمر على أن يتم انتخاب جميع أعضاء اللجنة التحضيرية بالاقتراع السري في مؤتمر تحضيري يحضره جميع أعضاء مجالس إدارات النقابات العمالية وهي الآلية المعمول بها وفق المعايير الدولية في مختلف مؤسسات المجتمع المدني؛ التنظيمات النقابية، الجمعيات والنقابات المهنية، الأحزاب والتنظيمات السياسية، الاتحادات الطلابية وغيرها من المنظمات.

وحين طرح هذا المقترح في الاجتماع للتصويت عليه سقط بسبب عدم حصوله على الأصوات اللازمة، بينما أصر رؤساء 60 في المئة من النقابات (واللجان العمالية) الأخرى وبحكم الغالبية أن يكون نصف أعضاء اللجنة بالتعيين من قبل الإتحاد العام لعمال البحرين والنصف الآخر يتم انتخابهم من قبل لجنة رؤساء النقابات. (وفق عدد صحيفة الوسط الصادر بتاريخ 9 أكتوبر 2003 - هاني الفردان)

وهكذا وباسم الديمقراطية والأغلبية تمّ تمرير مبدأ غير ديمقراطي من أجل تشكيل اللجنة التحضيرية للاستحواذ عليها من قبل الاتحاد العام ومن خلفهم!! والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل هذه الآلية في تشكيل اللجنة التحضيرية هي آلية نقابية وديمقراطية صحيحة كما يدعي أصحابها؟

للإجابة على هذا السؤال نورد الملاحظات التالية حول لجنة رؤساء النقابات:

أولا: لجنة رؤساء النقابات العمالية تشكلت بمبادرة من قبل رؤساء النقابات العمالية وذلك للتشاور فيما بينهم حول سبل تطوير عمل النقابات العمالية التي تشكلت بعد صدور قانون النقابات العمالية، وسبل استقطاب العمال حولها وتطوير العضوية فيها.

ثانيا: لجنة رؤساء النقابات تفتقد لهيكل تنظيمي ونظام أساسي ولوائح داخلية تسير عملها مقرة من قبل جمعياتها العمومية، كما أن النقابات العمالية ليست منظمة للجنة رؤساء النقابات كأعضاء ولا تدفع الاشتراكات مما يجعل دور لجنة رؤوساء النقابات ينحصر في التشاور وتبادل الأراء فيما يتعلق بالعمل النقابي وليست مؤهلة لإتخاذ قرارات مصيرية يتوقف عليها مستقبل العمل النقابي برمته كما أن القرارات التي تتخذ في هذه اللجنة ليست ملزمة للنقابات وهو ما يستدعي لاتخاذ قرارات مصيرية الرجوع إلى الجمعيات العمومية للنقابات.

ثالثا: لكي يتم تشكيل لجنة تحضيرية يتطلب الأمر أن تجتمع مجالس إدارات النقابات المنتخبة من قبل جمعياتها العمومية في مؤتمر تحضريري يتم فيه الإعلان عن فتح باب الترشح لتشكيل اللجنة التحضيرية، ومن خلال الاقتراع السري يتم انتخاب أعضائها وليس لجنة رؤساء النقابات.

رابعا: تكلف اللجنة التحضيرية من المؤتمر التحضيري بإعداد النظام الأساسي واللوائح المنظمة للمؤتمر التأسيسي والدعوة له، وهو ما ينفي أي دور للجنة العامة لعمال البحرين والاتحاد العام بعد تحولها لتأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين وفق قانون النقابات العمالية.

خامسا: للأسباب أعلاه لم يكن رؤساء النقابات يرون أهمية وضرورة الإسراع في تشكيل الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين الذي يتطلب كأولويات وكأرضية صلبة استكمال تشكيل أغلبية النقابات العمالية في مختلف المنشآت والقطاعات الاقتصادية وتقوية مواقعها وزيادة عضويتها، وهو الأساس لتشكيل اتحاد نقابي قوي وصلب ويستند إلى قاعدة عمالية قوية ومتماسكة، حتى لو تطلب ذلك وقت طويل.

إذا نخلص مما سبق أن بعض الأطراف كانت متعجلة في تأسيس الاتحاد النقابي وهي في سبيل ذلك كانت تحاول جاهدة إرباك الحركة النقابية الوليدة وإشغالها بأمور لا تستدعيها الظروف بشكل عاجل، فالفترة بين قرار تحول اللجنة العامة لعمال البحرين إلى الاتحاد العام لعمال البحرين وتشكيل اللجنة التحضيرية لا تتجاوز الشهرين والنصف، في حين كانت الحركة النقابية لديها متسع من الوقت للتخطيط

لتأسيس الاتحاد النقابي وبآليات ديمقراطية ووفق المعايير الدولية.

وبسبب تشكيل اللجنة التحضيرية وبالطريقة التي أوردناها تعمقت الخلافات بين النقابات العمالية وقياداتها وبدأت تغطي هذه الخلافات صفحات الصحف، نورد بعض منها:

«كشف رئيس نقابة العمال في شركة ألمنيوم البحرين (ألبا) إبراهيم الدمستاني «سعي عدد من النقابات العمالية خلال الأيام المقبلة إلى عقد لقاء تشاوري بينها لمناقشة الخلاف القائم بين النقابات العمالية بشأن آلية تشكيل اللجنة التحضيرية لمؤتمر الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، وذلك لتصحيح الأمور والتوجه لمشاركة الكوادر النقابية في صوغ النظام الأساسي الذي يلبي طموح جميع الأطراف.

وأكد أنه «إذا لم يصل الطرفان إلى صيغة توافقية وإيجاد آلية يرتضيانها، ستلجأ هذه النقابات إلى تشكيل اتحاد آخر لنقابات عمال البحرين مكون من عدد من النقابات اتفقت على ذلك». ومن جهته، أشار أمين سر نقابة (ألبا) محمد علي مكي إلى أن واحدة من «مآسي» هذه الفترة أن هناك شقا في العمل النقابي على مستوى القيادات النقابية، وأن يكون سبب الخلاف بعيدا كل البعد عن الحركة العمالية، من خلال خلافات شخصية أو توجهات سياسية معينة أحدثت هذا الشق» (خلافات «اللجنة التحضيرية» تنذر بانشقاق النقابات العمالية الوسط – هاني الفردان 14 أكتوبر 2003)

وفي مقال لهشام سعيد بعد أن أكد على عدم صحة الآلية التي اعتمدت في تشكيل اللجنة التحضيرية يؤكد على أن «مبدأ التعيين في المؤسسات المهنية والجماهيرية، مرفوض بالأساس لأنه لا يعبر عن قناعات حرة في الاختيار وهو يعارض الأسس الديمقراطية في العمل النقابي ويؤدي إلى تكريس ظاهرة الدكتاتورية والفردية في النقابات، مثلما هو مرفوض مبدأ التعيين كبديل لممارسة الإنسان لحقوقه السياسية والدستورية، إن المرء يتسائل كيف تشكل لجنة تحضيرية نصف أعضائها بالتعيين والجزء الآخر بالانتخاب، وأن يكرس هذا العرف في العمل النقابي والعمالي سوف يكون ظاهرة خطيرة يؤسس لمفاهيم نقابية خاطئة، تلغي مبدأ الانتخاب من القاعدة إلى القمة، وتفرض آراء ومفاهيم غير نقابية، تفكك وتمزق وتشرذم القواعد العمالية بدلاً من توحيد جهودهم وتطوير وعيهم النقابي (من مقال أهمية النقابات العمالية يكمن في وجود وعي نقابي متطور – هشام سعيد 2003/11/15)

وما زاد من حدة الخلافات بين القيادات النقابية بعد تشكيل اللجنة التحضيرية بالآلية التي أوردناها أعلاه، قرار اللجنة التحضيرية في أحد اجتماعاتها باعتبار أعضاء مجلس إدارة الاتحاد العام (اللجنة العامة سابقا) من ضمن مندوبي المؤتمر التأسيسي حالهم حال مندوبي النقابات العمالية، وهو ما يؤكد رأي رؤساء النقابات أن اللجنة التحضيرية ومن ورائها بعض الأطراف يحاولون الهيمنة على مجريات المؤتمر التأسيسي والاستيلاء على الأمانة العامة، مما دفع برؤساء النقابات إلى الوقوف وبصلابة ضد هذا التوجه إلى أن تراجعت اللجنة التحضيرية عن قرارها في 15 ديسمبر 2003.

وحول هذا الموضوع أوردت صحيفة الوسط العدد 467، الأربعاء 17 ديسمبر 2003 الخبر التالي:

تراجعت اللجنة التحضيرية للإتحاد العام لنقابات عمال البحرين عن بعض البنود التي تضمنتها اللائحة الخاصة بالمؤتمر التأسيسي في اللقاء التحاوري الثالث مساء أمس الأول، وقررت العدول عن فكرة تمثيل الاتحاد العام لعمال البحرين في المؤتمر العام لنقابات عمال البحرين إلى جانب مندوبي النقابات العمالية بشقيها الحكومي والخاص كما أسفرت الحوارات عن إعطاء النقابات الحرية في اختيار مندوبيها سواء من مجلس الإدارة أو من الجمعيات العمومية، وإلغاء دفع اشتراك النقابات لثلاثة أشهر مقدما.

والحق أن الأيام التي تلت هذه التطورات بينت أن اللجنة التحضيرية كانت تبيت للكثير من القرارات التي تعتزم تمريرها خلال فترة قصيرة، وقبل أن تبرز نقابات عمالية جديدة لا ترتهن لتوجيهاتها وهو ما يفسر لهاثها من أجل الانتهاء من تأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بأسرع ما يمكن، ومن ضمن القرارات التي تعكس هذا التخبط قرارها بإعطاء النقابات العمالية الحرية في اختيار مندوبيها سواء من مجلس الإدارة أو من الجمعيات العمومية الذي كان محل خلاف بين اللجنة والنقابات، فقد رجعت عن قرارها هذا وفرضت مجددا بأن يكون مندوبي النقابات من مجالس إدارات النقابات، مما دفع ببعض النقابات العمالية للاعتراض على هذا القرار ومخاطبة اللجنة التحضيرية برسالة تضمنت التالي:

"الرسالة الموجهة من اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بتاريخ 20 ديسمبر 2003 إلى رووؤساء النقابات والمتعلقة باختيار مندوبي النقابات للمؤتمر التأسيسي، حسمت النقاش الدائر على الساحة النقابية وأوكلت هذه المهمة لمجالس إدارات النقابات التي يتعين عليهم اختيار المندوبين وفي غضون سبعة يام من تاريخه حيث أن آخر موعد لاستلام أسماء المندوبين هو السابع والعشرين من شهر ديسمبر الجاري 2003.

كنا نأمل أن يتم تحديد المندوبين للمؤتمر بالآليات النقابية الصحيحة والمتعارف عليها دوليا وبديمقراطية تتيح للقاعدة العمالية أن تنتخب من تراه أهلا للثقة في تحمل المسئولية التاريخية وقادرا على تمثيلهم في تأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين خير تمثيل وإيصال توصياتهم ومقترحاتهم بالشكل الذي يريدون أن يكون عليه إتحادهم القادم، ولكن صياغة الرسالة المذكورة التي جاءت قاطعة ونهائية حين أوكلت هذه المهمة لمجلس إدارة النقابة وحصر المدة في سبعة أيام لم تترك للنقابات خيار غير أن تلتزم مرغمة بما جاء في الرسالة وذلك لعدم تخلفها عن تقديم أسماء المندوبين وبالتالي حرمانها من المشاركة في المؤتمر وتجنبا لتحملها مسئولية أي تأخير أو إرباك لسير إجراءات التأسيس.

إننا مع إلتزامنا بما جاء في الرسالة المذكورة وحرصاً منا على وحدة الحركة النقابية ولإنجاح المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين نؤكد على أن هذه الآلية التي اعتمدتها اللجنة التحضيرية في اختيار المندوبين لا تستند إلى الأسس والمباديء النقابية والديمقراطية المعمول بها في مختلف دول العالم وأنها تهضم حق القاعدة العمالية في المشاركة الفعالة في تأسيس اتحادهم من خلال حقهم في انتخاب المندوبين انتخابا حرا مباشرا وعليه نرفع لكم هذه الرسالة مسجلين فيها تحفظنا على عدم صحة الإجراءات التي اعتمدتها اللجنة التحضيرية.

صادر عن مجموعة من النقابات العمالية 27 ديسمبر 2003"

لقد خلقت تلك القرارات المتعددة والمتسارعة والمتناقضة في بعض الأحيان، التي أصدرتها اللجنة التحضيرية للنقابات العمالية وخلال فترة قصيرة لدي القيادات النقابية والمهتمين بالشأن العمالي قناعة بأن وراء الكواليس توجد حركة محمومة للهيمنة على الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين القادم، وأن العملية يجب أن تتم مهما كلف الأمر حتى لو كان ما تسفر عنه لا يرتقي إلى طموح العمال ولا يصب في صالحهم، وحتى لو أدى ذلك إلى تشكيل كيان اتحاد نقابي هزيل غير جامع لمختلف النقابات العمالية في مختلف المؤسسات والقطاعات الاقتصادية المختلفة وضرب الوحدة العمالية.

من هنا ومنذ 20 ديسمبر 2003 بدأت تتشكل مجموعة من القيادات النقابية وتتكثف اجتماعاتها ولقاءاتها لتدارس كل هذه المستجدات والسبل للخروج منها بتشكيل الاتحاد النقابي بأقل الخسائر، وتدريجيا ومن خلال هذه اللقاءات بدأت تظهر ملامح كتلة نقابية يوحد أعضائها الهم النقابي والمصلحة العمالية والتاريخ النضالي لعمال البحرين خلال العقود السبع الماضية، وحرصها على إبراز أن ما يحدث ما هو إلا كبوة في مسار الحركة العمالية والنقابية.

قيام الاتحاد العام العام كان يتطلب كأولوية استكمال تشكيل النقابات في مختلف المنشآت والقطاعات الاقتصادية وتقوية مواقعها وزيادة عضويتها

الدول العربية والآفة الكبرى

الآفة في اللغة: كل ما يصيب شيئا فيفسده، من عاهة أو مرض أو قحط. يقال آفة زراعية: أي ما يفسد الزرع من دود أو حشرات وغيرها. كما يقال آفة العلم النسيان. والدول العربية الحديثة ابتليت منذ قيامها بآفة الاستبداد السياسي التي لا زالت تأكل الأخضر واليابس وتفسد كل شيئ فيها.
والاستبداد لغة هو غرور المرء برأيه والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة. ويراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة لأنها مظاهر أضراره التي جعلت من الإنسان أشقى ذوي الحياة.

جلال إبراهيم

والاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا أو حكما التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية وحساب ولا عقاب محققين. وأشد مراتب الاستبداد – كما أشار الكواكبي– التي يتعوذ بها من الشيطان هي حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية.

الحاكم المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحكم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المتعدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته. والمستبد يود أن تكون رعيته كالغنم درا وطاعة، وكالكلاب تذبلا وتملقا. وعلى الرعية أن تعرف مقامها أنها خلقت خادمة لحاكمها، تطيعه إن عدل أو جار، وخلق هو ليحكمها كيف شاء بعدل أو اعتساف.

ومن هذه الآفة الكبرى –الاستبداد السياسي– تتفرع العشرات من الآفات الصغرى التي تساهم في استمرار الدول العربية في تخلفها الحضاري. أولى هذه الآفات المشتقة من آفة الاستبداد السياسي هي آفة الاستبداد الديني، وهما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذليل الإنسان، والمشاكلة بينهما أنهما حاكمان أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب. ودائما ما تستغل سلطة الدولة السلطة الدينية ومؤسساتها في خدمة مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وفي الواقع أن الدين بطبيعته مطواع أمام سلطة الدولة، وهذا ما تأكد عبر مسيرة التاريخ البشري. وأخطر ما ينتجه الاستبداد الديني تحت سيطرة سلطة الدولة المستبدة هو التعصب الديني والصراع الطائفي بين مكونات الدولة أو الأمة الواحداة أو في دائرتها الأوسع بين الأمم والحضارات، ومثالها في ذلك الحروب الصليبية التي مثلت قمة التعصب الديني والاستبداد السياسي الأوربي الغربي تجاه المشرق العربي الإسلامي في العصور الوسطى. وما ثورات الربيع العربي التي اجتاحت العديد من الدول العربية في مطلع العام 2011 وما تلاها من انتشار للخطاب الطائفي وتمدد الجماعات الإرهابية والتكفيرية وعلى رأسها داعش، إلا نتاج للاستبدادين السياسي والديني في الدول العربية.

> من آفة الاستبداد السياسي تتفرع العشرات من الآفات الصغرى التي تبقي الدول العربية متخلفة

ثاني الآفات المشتقة من آفة الاستبداد السياسي هي الاحتكار الاقتصادي لوسائل الانتاج الأساسية والتحكم بعلاقات الإنتاج، فالنفط والغاز الطبيعي مثلا يكونان في يد الأفراد أو العائلة أو الحزب، وليس في يد الدولة الديمقراطية الغائبة عن بلداننا العربية. وقس على ذلك التحكم والاحتكار في التجارة والصناعة والمصارف المالية وغيرها، مما يؤدي إلى نتيجة حتمية وهي تبديد الثروات وانتشار الفساد والسرقات للمال العام، وزيادة نسبة الخصخصة والفقر والبطالة والضرائب، ناهيك عن ارتفاع الدين العام للبلاد. إن الاستبداد يجعل المال في أيدي الناس عرضة لسلب المستبد وأعوانه وعماله غصبا، أو بحجة باطلة، وعرضة أيضا لسلب المعتدين من اللصوص والمحتالين الراتعين في ظل أمان الادارة الاستبدادية.

ينتج عن الاستبداد السياسي أنواع عديدة من الاستبداد، ذكر بعضها الكواكبي وهي كالتالي: الاستبداد والعلم، الاستبداد والتربية، الاستبداد والأخلاق، الاستبداد والمال، الاستبداد والمجد، ولا يتسع المجال هنا لشرحها.

إذا بسبب الاستبداد السياسي الشامل الذي يسيطر على كل مفاصل الحياة السياسية في الدول العربية من مشرقها إلى مغربها، تغيب الديمقراطية وجميع مفرداتها وأدواتها: الحرية والعدالة، العقد الاجتماعي والدستور التعاقدي، البرلمان والأحزاب والحكومة المنتخبة، القضاء المستقل والأمن للجميع، المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان وحرية الإعلام والصحافة... . بينما يسود مقابل ذلك على أرض الواقع: القمع والظلم، الفرض والقهر، الصحيفة الواحدة والحزب الواحد، الطائفية والتعصب الديني، التنكيل بالمعارضين وانتهاك حقوق الإنسان... إلخ.

إن أوربا التي تعيش اليوم أرفع مراتب الحضارة البشرية، في تقدمها سياسيا واقتصاديا وصناعيا وعلميا وعسكريا، كانت في العصور الوسطى تعيش في ظلام دامس على مستوى العقل والفكر والحقوق، ولكن بفضل بزوغ عصر النهضة والأنوار وحركة الإصلاح الديني والثورة الصناعية استطاعوا أن يستبدلوا الحكم المطلق بالحكم الديمقراطي، التعصب الديني بالتسامح الديني، الاستبداد بالحرية، الخرافة بالعلم، الفرقة بالوحدة.

هذا ما يحتاجه العرب في القرن الواحد والعشرين ليخرجوا من مأزقهم التاريخي الاجتماعي والحضاري الذي طال أمده، وليصبحوا أمة واحدة قوية متقدمة في كافة العلوم والمجالات في الحياة، بدلا من الاستمرار في ضعفهم وتشرذمهم وتخلفهم وغرقهم في الظلام

نحن الذين نؤمن بالحريّة لن نستكين حتى تجيء

كلمة آنجيلا ديفس
ترجمة سنان أنطون

آنجيلا ديفس (مواليد ١٩٤٤) ناشطة يساريّة معروفة في حركة الحقوق المدنية واليسار الأمريكي والعالمي. برزت في الستينيّات في صفوف الحزب الشيوعي الأمريكي وكانت مقرّبة من حركة الفهود السود. وهي كاتبة وأكاديميّة متقاعدة، وفيما يلي نص الخطاب الذي ألقته في مسيرة النساء في واشنطن يوم ٢١ كانون الثاني ٢٠١٧

«في لحظة صعبة في تاريخنا، فلنذكّر أنفسنا، نحن، مئات الآلاف، ملايين النساء، ومتحولو الهويّة الجنسيّة، والرجال والشباب المتجمعون هنا في مسيرة النساء، بأننا نمثل قوى التغييرالمصممّة على منع ثقافات العنصرية والأبوية–الذكورية المحتضرة من أن تنهض من جديد.

ندرك أنّنا عناصر جمعيّة فاعلة للتاريخ وبأن التاريخ لا يمكن أن يمحى مثل صفحات الانترنت. نعلم أنّنا نجتمع هذا العصر على أرض تعود للسكان الأصليين وبأننا نستلهم قيادة السكّان الأصليّين الذين لم يتخلّوا عن النضال من أجل الأرض والماء والثقافة وشعبهم بالرغم من عنف الإبادة الجمعيّة الهائل. ونحيّي بشكل خاص «ستاندنغ روك سو».

لا يمكن محو نضال السود للحريّة الذي صاغ طبيعة تاريخ هذا البلد. ولا يمكن أن نُجبرَ على نسيان حقيقة أن «حياة السود مهمّة». هذا بلد تأسّس على العبودية والاستعمار، مما يعني، مهما يكن، أن تاريخ الولايات المتحدة بحد ذاته هو تاريخ الهجرة والاستعباد. إن نشر رهاب الغرباء وتوجيه التهم بالقتل والاغتصاب وبناء الجدران لن يمحو التاريخ.

لا يوجد إنسان «غير قانوني»!

إنّه النضال من أجل إنقاذ كوكب الأرض ووقف التغير المناخي وضمان حق الحصول على الماء من ستاندنغ روك سو إلى فلنت، ميشيغان، إلى غزّة.

النضال من أجل إنقاذ الحيوانات والنباتات، وإنقاذ الهواء. هذه هي ساحة المعركة الرئيسيّة للنضال من أجل العدالة الاجتماعيّة. هذه مسيرة نساء ومسيرة النساء هذه تمثّل الأمل في النسويّة في مواجهة القوى الفتاكة لعنف الدولة. النسوية الشاملة والتشابكيّة التي تدعونا جميعاً للانضمام إلى مقاومة العنصرية، ورهاب الإسلام، والمعاداة للساميّة، وكره النساء والاستغلال الرأسمالي.

نعم، نحيي النضال من أجل حد أدنى للأجور. ونكرّس أنفسنا للمقاومة الجمعية. مقاومة أصحاب البلايين المستفيدين من العقارات والذين يدمّرون المدن. مقاومة خصخصة العناية الصحيّة. مقاومة الهجمات ضد المسلمين والمهاجرين. مقاومة الهجمات ضد ذوي الاحتياجات. مقاومة عنف الدولة الذي تقترفه الشرطة والذي يمارس في مجمّعات السجون.

مقاومة العنف الجندري، المؤسساتي والبيتي، بالذات ضد النساء السمر المتحولات جنسياً.

حقوق المرأة هي حقوق الإنسان في كل مكان على هذا الكوكب. ولذلك نقول: الحرية والعدالة لفلسطين. نحتفل بإطلاق سراح جيلسي مانينغ الوشيك. وأوسكار لوبيز ري#يرا. لكننا نقول أيضاً: اطلقوا سراح ليونارد بيلتييه.

اطلقوا سراح موميا أبو جمال. اطلقوا سراح أساتا شكور.

نحن مطالبون في الأشهر والسنين القادمة بتصعيد مطالبتنا بالعدالة الاجتماعية وبأن نكون أكثر حماسة في دفاعنا عن الجماعات المستضعفة. وعلى أولئك الذين مازالوا يدافعون عن التفوّق العنصري لأبويّة وذكوريّة الرجل الأبيض أن ينتبهوا.

إن الـ 1459 يوماً القادمة من إدارة ترامب ستكون 1459 يوماً من المقاومة. مقاومة على الأرض، مقاومة في قاعات الصفوف، مقاومة أثناء العمل، مقاومة في فنوننا وفي موسيقانا.

ليست هذه إلا البداية، وكما قالت إيلا بيك: نحن الذين نؤمن بالحريّة. لن نستكين حتى تجئ.

شكراً"

في إطار اهتماماته الثقافية والفكرية المتنوعة أقام ملتقى التقدمي الأسبوعي ندوة للاحتفاء بالعمل الروائي الأول للشاعر والكاتب عبد الحميد القائد: «وللعشق رماد»، التي صدرت مؤخراً عن دار أفكار بالبحرين، وقد شمل برنامج الندوة كلمة تعريفية بالرواية وأبعادها قدمها المؤلف، ثم مطالعة نقدية موسعة قدمها الدكتور فهد حسين، وتلى ذلك مناقشات غنية حول الرواية.
وننشر هنا نص كلمة مؤلف الرواية، وفقرات ضافية من مطالعة الدكتور فهد حسين.

رواية «وللعشق رماد»: البحث عن الجهة الخامسة

عبدالحميد القائد

من بين أكمام الزمن المرّ، يخرج شاب من عبق عرق الغواصين وصيادي السمك من حي البسطاء والحالمين، حاملاً احلاماً شاهقة لتحقيق العدل والحرية لشعبه. مسيرة مليئة بأحداث درامية تبدأ من رعونة الطفولة ... سلسلة حافلة من العذابات تبدأ من المرحلة الابتدائية. في الصف الأول إعدادي يتعرض للاعتقال وعمره أربعة عشر سنة مدة اربعة ايام عندما يشارك في مظاهرة طلابية بمناسبة وقف إطلاق النار في الجزائر ويظل في السجن أربعة أيام في غرفة صغيرة مزدحمة بالطلبة المسجونين معه. في الرابعة عشرة ايضا يصادف حبه الأول .. تلك الفتاة الشهية التي كانت بداية مرحلة الرومنسيات في حياته، التي غرقت فيما بعد بعطور النساء وكيدهن العظيم. يعشق القراءة التي تصبح جزءاً من حياته، وفي فترة لاحقة يبدأ بالبحث عن الذي علمه القراءة كي يقتله لكنه يكتشف بأنه هو ولا احد غيره لأن القراءة أضاءت هذا الجسد الضئيل وأطلقته للريح والفواجع. تغتصبه امرأة جميلة وهو في السادسة عشرة من عمره. يعتنق الفكر القومي ويعشق جمال عبدالناصر ومصر، وعندما يحدث الزلزال العظيم بوقوع هزيمة حزيران يصاب بالصدمة ويهرب إلى الفلسفة الوجودية لكنه سرعان ما يجد ضالته في الفكر الماركسي الذي يظل معه دائما يضيء مشواره الطويل. شخصية هي مزيج غريب واحياناً متنافر يجمع بين الثوري والعاشق الدائم والكاتب والشاعر في تناغم يميز شخصية الغريب، هذه الصفة التي يحب دائما أن يطلقها على نفسه لشعوره بغربته الوجودية. يتعرض للاعتقال بسبب افكاره الماركسية للمرة الثانية والثالثة ويعاني وحشة السجون الانفرادية، ويسافر السجن معه .. يسكنه دائما. يُطرد من بريطانيا بسبب قيامه بإتلاف فيلم يمدح غولدا مائير كان يعرض في الجامعة التي يدرس فيها. يدخل في علاقات عاطفية وجنسية كثيرة وبعد تجارب مريرة مع المرأة يصل الى نتيجة الى أن مؤسسة فاشلة وخاصة بالنسبة للكتاب والشعراء والفنانين. يلتقي بنساء كثيرات وجميلات من مختلف الجنسيات فهو عاشق للنساء أو كان "يعشق العشق لا غير" مثل الكثير من الشعراء كما قالت له إحداهن. كل علاقاته العاطفية لا تستمر طويلا .. تنتهي الكثير منها بنهايات درامية. رواية على شكل مشاهد مترابطة وأحياناً غير مترابطة، تصف الكثير منها الحركة الوطنية في البحرين أيام المد القومي ثم اليساري وتصف هذا الشعب العظيم الذي حارب الإستعمار الإنجليزي، مشاهد سياسية حقيقية مطعمة بمشاهد في غاية الرومانسية، هذا المزيج الذي يمثل شخصية البطل الثوري الرومانسي.

عندما يبدأ الحريق الكبير والحروب الطائفية في الوطن العربي يجد أن كل الجهات الأربع لا توصله إلى طريق النجاة .. فيبحث عن جهة خامسة!

العلاقة الفاصلة بين السارد والشخصية في رواية «وللعشق رماد» لعبدالحميد القائد

إن توجه الشاعر حميد القائد إلى كتابة العمل السردي ليست حالة إبداعية منفردة، بل هي ظاهرة في المشهد الثقافي والأدبي، وقد سبقه في البحرين بعض الكتاب من يكتبون في مجالات أخرى بعضها غير الأدب والإبداع، مثل: المرحوم خالد البسام الكاتب في مجال التاريخ والتوثيق والسير الشخصية إذ أصدر ثلاثة أعمال روائية، هي: لا يوجد مصور في عنيزة – مدرس ظفار – جراندول، وأتى الدكتور عبدالله المدني من الكتابة في الشأن الأسيوي ليكتب خمسة أعمال روائية، هي: في شقتنا خادمة حامل – محمد صالح وبناته الثلاث – بو لقلق – من المكلأ إلى الخبر – مذكرات حاوية مخلفات، وأتى خليفة العريفي من المسرح ليكتب ثلاثة أعمال روائية، هي: جمرة الروح – رائحة القميص – زينب من المهد إلى الحب التي ستصدر قريبًا، وفي المملكة العربية السعودية كتب الشاعر علي الدميني، والشاعر غازي القصيبي، والباحث تركي الحمد، والشاعرة مها الجهني.

د. فهد حسين

وخير مثال على هذا التوجه مشروع أمبرتو إيكو الذي عرفه العالم الأكاديمي والنقاد بأنه منظر في السرديات والسيميائيات، ولكنه كتب خمسة أعمال روائية تعتبر من أهم الأعمال الروائية في العصر الحديث. (اسم الوردة – جزيرة اليوم السابق – بندول فوكو – مقبرة براغ – باودولينو. إذن السؤال هل هذا التنوع ظاهرة صحية لدى الكاتب والمشهد الأدبي والثقافي؟ سؤال لا ينبغي تجاهله لما له من مداخل كثيرة تجاه هذا التنوع في الكتابة، فهناك من يكتب سردًا لأن مجاله لا يستطيع احتضان ما يريد قوله الذي يحتاج إلى الشرح والتفصيل والإسهاب وغيرها من التقنيات التي لا توجد إلا في السرد عامة، والرواية بخاصة، وهناك من يكتب حبًا في الظهور أكثر حيث مجاله الرئيس ليس له الإمكانات لهذا الانتشار، وآخر يكتب برغبة التجريب، أو يكتب ليترجم ما يقوله تنظيرًا إلى واقع سردي، أو رغبة في الكسب المادي على اعتبار أن الرواية اليوم هي بنت عصرها وصاحبة انتشار واسع محليًا أو خارجيًا.

في هذا العمل الذي بيننا أقدم الشاعر حميد القائد على خوض تجربة جديدة في مشواره الكتابي والإبداعي، وخوض التجريب ليس بالعمل السهل، بل يتطلب مهارات فنية بمجال العمل الجديد، وتقنيات وجماليات، وقناعة أدبية وفنية، لذلك ليس كل من كتب رواية سواء هو في مجال السرد أم جاء من خارجه يكون موفقًا، وحميد القائد حاول أن يقدم لنا عملاً ربما يراه متكاملاً فنيًا وتقنيًا وجماليًا، لذا أصدره وها هو الآن بين أيدينا.

لو حاولنا مقاربة هذه الرواية تحت أي سياق منهجي منشغل بالنقد الأدبي، فالمقاربة تؤكد أن الرواية هي نص بالدرجة الأولى، ينبغي أن تكون له مرجعية لمادة هذا النص، والذي أرسله، وهو الكاتب بلا شك، ومرسل إليه الذي هو القارئ أو المتلقي. وحينما نقف عند النص باحثين عن مرجعيته فعلينا أن نتساءل حول المرجعية، قيمتها، شكلها، حجمها، وظيفتها، وحين نصل إلى شيء يتقارب والإجابات نستطيع قراءة النص قراءة تحليلية وتفسيرية. كما أن كل عمل روائي يحضر ويستدعي بشكل مباشر أو غير مباشر التاريخ الذي هو وسيط بين وجود الإنسان الشخصي ووجوده الطبيعي، لذلك فالعمل السردي حينما يتفاعل مع التاريخ يحاول إعطاءنا محاولاته لكشف أسرار العلاقة بين الوجود الشخصي والوجود الطبيعي في سياق المشكلات المحيطة به، ومجموعة الرموز التي تشكل حياته.

الرواية (وللعشق رماد) أبحرت في العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية والمهنية والعاطفية والجسدية، وربما كان وراء هذا التعدد في مجال القضايا تعمد الكاتب لجعل القارئ يختار من أين ينطلق في فهم العمل، ونوع القضية التي يراها، وكيفية معالجتها، وهذا جزء من ذكاء الكتّاب الذين هم عادة حينما يتركون القارئ في حيرة من أمره، أو في تساؤل حينما يلج فضاء أي عمل إبداعي. ومن هنا فرض الكاتب حميد القائد على القارئ أن يكون متتبعًا ليس للأحداث المتختلفة في طبيعتها أو شكلها أو نوعها أو حجمها أو قيمتها، بل في تلك العلاقات المتعددة عبر مكونات النص الروائي، إذ برزت أسماء كثيرة رجالية ونسائية. ومن يقفد خيط المتابعة يحتاج إلى الرجوع مرة أخرى ليمسك بهذا الخيط أو ذاك حتى يتمكن من السير في فضاء هذا العمل. أي هل القارئ معني بمتابعة تلك الأحداث التي تناولت تاريخ الشخصية من الجانب التعليمي؟ أم تثقيفها وقراءاتها المتنوعة ومشوارها السياسي؟ أم تلك التحوّلات الفكرية التي برزت فترة بعد أخرى؟ أم بمتابعة نسيج العلاقات الاجتماعية في أسرتها وبين أصدقائها وسفرها ومكان عملها؟ أم بمتابعة مغامراتها والغراميات العاطفية والجسدية والجنسية.

ومنذ العتبات الأولى للرواية يقدم لك الكاتب العنوان (وللعشق رماد) ليحيلك إلى ما في العمل من ألم ومأساة وحب وتضحيات، كما ترجم الغلاف الشيء ذاته، وبدخولك هذا الفضاء تجد بأن هناك حقائق واقعية من وجهة نظر الكاتب أو السارد أو الشخصيات، لهذا ربما يتوقف القارئ عند تساؤل جوهري حول هذه الحقائق أهي حقائق تاريخية سجلها الكاتب، أم هي حقائق تاريخية ممزوجة بخيال يصل بعض الأحيان إلى الغرائبية؟ على الرغم من الفارق الكبير بين التاريخ والعمل الروائي، أي بين الكتابة التاريخية والكتابة الروائية، وقد أدخلتنا الرواية في المساءلة الإبداعية والفنية بين الكاتب حينًا، والسارد حينًا آخر، والشخصية حينًا ثالثًا. فبعض ما جاء في الرواية هو من صنع (الكاتب) كالعنوان، والغلاف وإن كان الناشر له البعد الفني في ذلك حسب تصوري، وتلك المقاطع الشعرية التي كان يستهل بها السارد فصول الرواية، فضلاً عن طول وقصر هذا الفصل أو ذاك. وما يتعلق بالسارد والشخصية الرئيسة فسنتحدث عنهما بشيء من التفصيل في ضوء العلاقة بينهما وبين الكاتب والشيء الملفت في الرواية أن الأمكنة كثيرة ومتعددة من داخل البحرين ومناطقها القديمة والحديثة، إلى روسيا – لندن – مالطا – تركيا – قبرص – لبنان – القاهرة – دولة خليجية ولكن كل هذه لم تشهد صراعًا أو حوارًا ثقافيًا أو فكريًا يحرك ويغير مجرى الأحداث، بل ما كانت تغيره هي أحداث المغامرات العاطفية والجسدية لدى لطيف، ولكن الزمن الذي اعتمده السارد فهو الزمن الأفقي الذي أخذ حياة لطيف ورفاقه وعلاقاته منذ البداية حتى نهاية

يتبع

يتبع

الرواية، لذلك لا تعب في معرفة الحدث التاريخي أو المكان وزمنه، على الرغم من أهمية الزمن الذي ضمته الرواية إذ يقارب السبعين عامًا من الخمسينيات حينما تحدث السارد عن أعضاء الهيئة حتى سفر لطيف إلى مالطا في العام 2001، ثم حضور زهرة في حياة لطيف وحديثه عن الطائفية والسنة والشيعة والعلمانية.

الشخصيات الروائية:

كثرت في الرواية الأسماء والشخصيات التي بعضها فاعل في حدث من الأحداث السردية، والبعض الآخر لم يكن حضوره أو المجيء به ضرورة سردية، لذلك تعددة وكثرت ووصلت إلى أكثر من ستين اسمًا، عربيًا وأجنبيًا، بدءًا من السارد تلك الشخصية التي تتحدث عن كل مجريات الرواية، وباتت عارفة بكل شيء، إلى أقل عمل لأي شخصية كشخصيات حسن وعلي في دولة قطر. إذ تظهر أسماء هذه الشخصيات وفق ما يحدث إلى لطيف وإن كان أكثرها من النساء اللواتي يبنين معه علاقة حسية بطريقة ما.

ويبدو أن السارد كان سعيدًا وهو يسرد هذه الأسماء التي توزعت بين علاقاتها مع لطيف في الحي، مثل: ياسر وبدر صديقا الطفولة للطيف، ونورة الطلفة التي لعب معها لطيف قرب أنابيب النفط بالرفاع، بالإضافة إلى الشاب محمد هادي الذي أحب فتاة ولكن لتشابه الأسماء كانت الرسائل تذهب إلى الحاج محمد، وكذلك محمد هادي صاحب محل لتصليح عوادم السيارات، ويوسف العامل بشركة النفط حبيب ناهد. وفي المدرسة ظهر خليل صديق لطيف، والمعلمون عبدالله معلم الرياضيات، وراشد الذي حل مكان الأستاذ عبدالله في التدريس. وصالح العبّار معلم اللغة الإنجليزية.

بالإضافة إلى الطالبة كفاضل فاخر الذي وصفه السارد بأنه من الطبقة الميسورة اجتماعيًا واقتصاديًا. فضلاً عن تلك الأسماء التي حضرت في الجامعة والعمل وكذلك في السجن.

أما في العلاقات العاطفية والجسدية والجنسية فقد تعددت النساء بحسب المكان والدولة، كنوارة التي حصلت على قبلة من لطيف وهما على سطح المنزل، وفريال طالبة المرحلة الثانوية، وناريمان وناهد –الفارسيتان، ومريام المعجبة بلطيف، جين الأمريكية، سو الطالبة الأجنبية زميلة لطيف بالجامعة، وكذلك معلمة اللغة الإنجليزية بالجامعة، وهيلين الإنجليزية التقاها لطيف في إحدى البارات، جواهر المرأة الخليجية التي التقاها لطيف في لبنان، فاطمة وعلاقتها الجسدية مع لطيف، وصوفيا الروسية التي رغبت في تعليمه اللغة، وزونا المرأة البولندية التقاها لطيف في مالطا، وكانوشكا المرأة الروسية التي تزوجها لطيف، إلهام السودانية التي تعرف إليها عن طريق الفيسبوك وكذلك بلقيس، و بهيجة التي كان لطيف يلتقيها في جزر أمواج، وزهرة التي بنت علاقة مع لطيف وسافرت معه إلى دولة خليجية، وغيرهن. السؤال ما المبرر لوجود هذا العدد من الأسماء في عمل لا يتجاوز الثلاثمائة والثلاثين صفحة، فهل كثرة هذه لأسماء سببها تحرك الشخصية الروائية للحديث عن مغامراتها المتعددة في كل لحظة.

وهنا تبرز مسألة أخرى، حول حكاية هذه الرواية: هل هي رواية الحدث ونمو الوعي السياسي واليساري في البحرين؟ هل هي رواية تاريخية وأراد الكاتب تسجيل تاريخ مرحلة ما؟ هل هي رواية السيرة الذاتية وما آلت إليه أحداثها وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية والفكرية؟ هل هي رواية المغامرات العاطفية والجسدية؟ هل هي كشف عن بقايا تحطيم الذات الفاقدة للحب الحقيقي والعلاقات الإنسانية الحقيقية؟ هل هي رواية الذاكرة الشخصية؟ هل هي رواية المذكرات والتواصل الاجتماعي؟ هل ما تضمنته الرواية من أحداث أطلق عليها السارد وحتى الكاتب أنها أحداثًا سياسية ومقاومة الانتداب البريطاني، هل بالفعل تمثل الرواية هذا البعد؟ ومن هذه الأسئلة أعتقد الرواية تشعب كثيرًا في موضوعاتها وشخصياتها مما جعلت القارئ لا يدري أي خيط يمسك لكي يسير بالرواية إلى مناطقها التي ينبغي أن تكون.

السارد والشخصية:

السارد أو الرواي أنواع، فهناك كما يشير الدكتور سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي: الرواي العليم صاحب المعرفة المطلقة، وهنا تبرز وجهة نظر الكاتب غير المحدودة وغير المراقبة، أو الراوي المحايد، أو صاحب المعرفة المحايدة، وهنا يتكلم الرواي بضمير الغائب، وكأن الكاتب لا يتدخل في سير الحدث، ولكن لن يحدث أي حدث إلا كما يراه الكاتب، أو الراوي الشاهد وعادة يظهر في الأعمال التي توظف ضمير المتكلم، والراوي المشارك، وهو أحد شخصيات العمل، ثم هناك تعدد الرواة.

وبخصوص السارد في رواية (وللعشق رماد) أعتقد وقع الكاتب في مصيدة السارد والشخصية معًا، ففي الوقت الذي يريد الهروب من فضاء الرواية وأحداثها تلبس الكاتب في السارد وراح يحرك الشخصيات كلها كيفما يريد هو وليست الشخصيات، بل في بعض الأحيان يصدر السارد أحكام صفات على حدث أو شخصية في الوقت الذي هو المعني بإصدار هذه الصفات هي الشخصية التي تتعامل مع الأخرى وليس السارد حين يكون خارج النص، وهناك أمثلة كثيرة، مثل: لأنه لم يتمكن من الرد على أحد أسئلة المدرس السخيف ص17، كلمة السخيف موجودة في ذهن لطيف وليس السارد ولكن السارد هو من قالها.

وفي الرواية يبدو أن الكاتب رسم شخصية السارد لكي يقوم بنقل الحدث، وليس تحليل الحدث أو تأويله أو شرحه، فهو ليس ضمن الشخصيات الروائية، ولكن تغلب السارد ودخل بكل ثقله ليكون أحد الشخصيات الفاعلة والمحركة. ومن الأمثلة الأخرى يقول السارد: « كانت ليلة من ليالي رمضان الكريم، ليلة شتائية باردة، وكانت الوالدة قد أعدت طبقًا بريانيًا باللحم لوجبة السحور « ص37، وبالصفحة نفسها يقول: « توجه لطيف إلى سريره وهو يحلم متى يحين موعد السحور حتى يتناول هذا الطبق الشهي « ص37. وقول السارد: «مشهد والده وهو يتصبب عرقًا لم يفارقه أبدًا، ومر عليه كشريط سريع أثناء دفن والده في مقبرة المنامة، بكى بحرقة وشعر بعبثية الحياة وصراع الشرفاء وركضهم ورحيلهم وراء توفير لقمة كريمة لعائلاتهم بشق الأنفس، ورحيلهم دون أن تذكرهم جريدة او إذاعة، إنه الصراع الطبقي يا صديقي .....» ص47، فمن هو هذا الصديق، وكيف يكون للسارد صديق وهو خارج الأحداث وليس من الشخصيات؟ كما برزت ظاهرة التوضيح والتفسير في الرواية من قبل السارد، كما فسر سبب تسمية الرفاع، ومفردة الحافلة بأنها بست وباص، ومفردة الهولة. وهناك من الكتابات العربية وبخاصة في منطقة الخليج أو المغرب العربي توظف اللغة المحكية، ولأن المناطق مختلفة فالكاتب يفسر الكلمات والمفردات البيئية أسفل الصفحات بوصفها هوامش.

ما كتبه حميد القائد في (وللعشق رماد) ينم عن رغبة دفينة لديه تأخذه نحو التحليق في فضاء السرد، وهذا يتطلب المران والتدريب في كيفية بناء المخطط الهندسي لأي عمل إبداعي، وبالأخص الرواية التي هي عالم ممزوج بين الإبداعي والتخييل واحتضان كل المعارف والمعلوم والفلسفة والفكر والثقافة، لذلك أؤكد أن الرواية اليوم لم تعد عملاً أدبيًا فحسب، وإنما عمل ثقافي بامتياز.

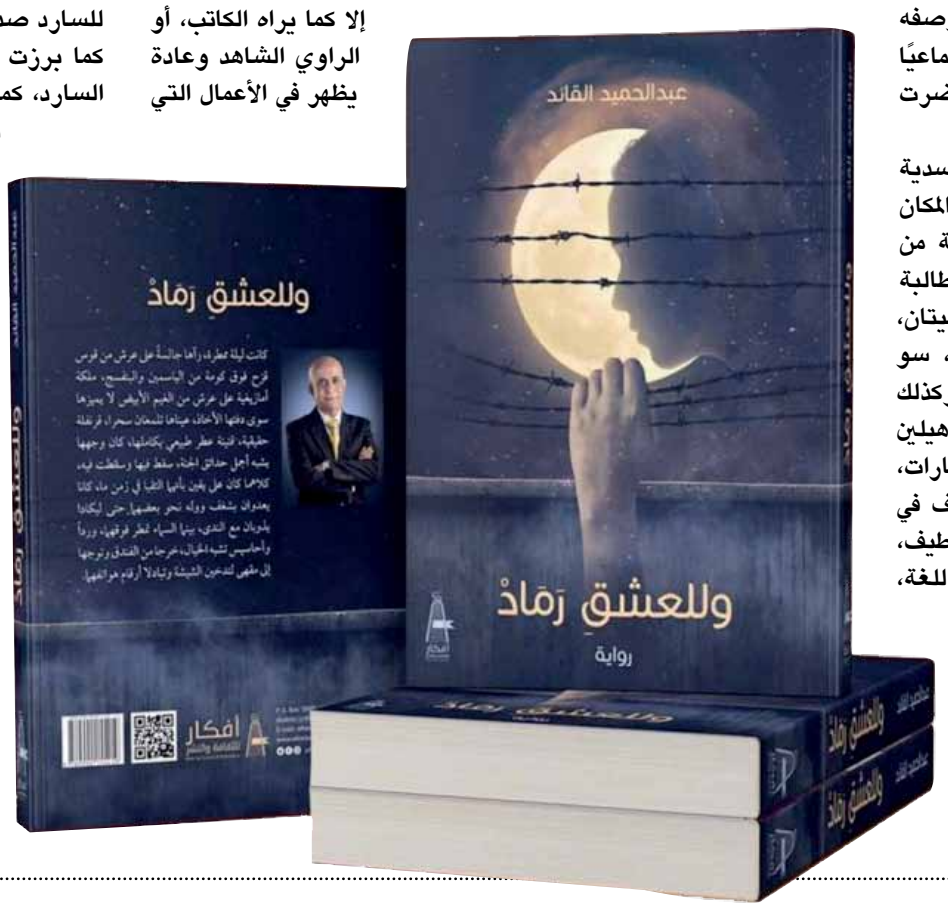

*ملخص الورقة التي قدمت في ندوة بمقر المنبر التقدمي بتاريخ 2017/1/22

واحة الفكر

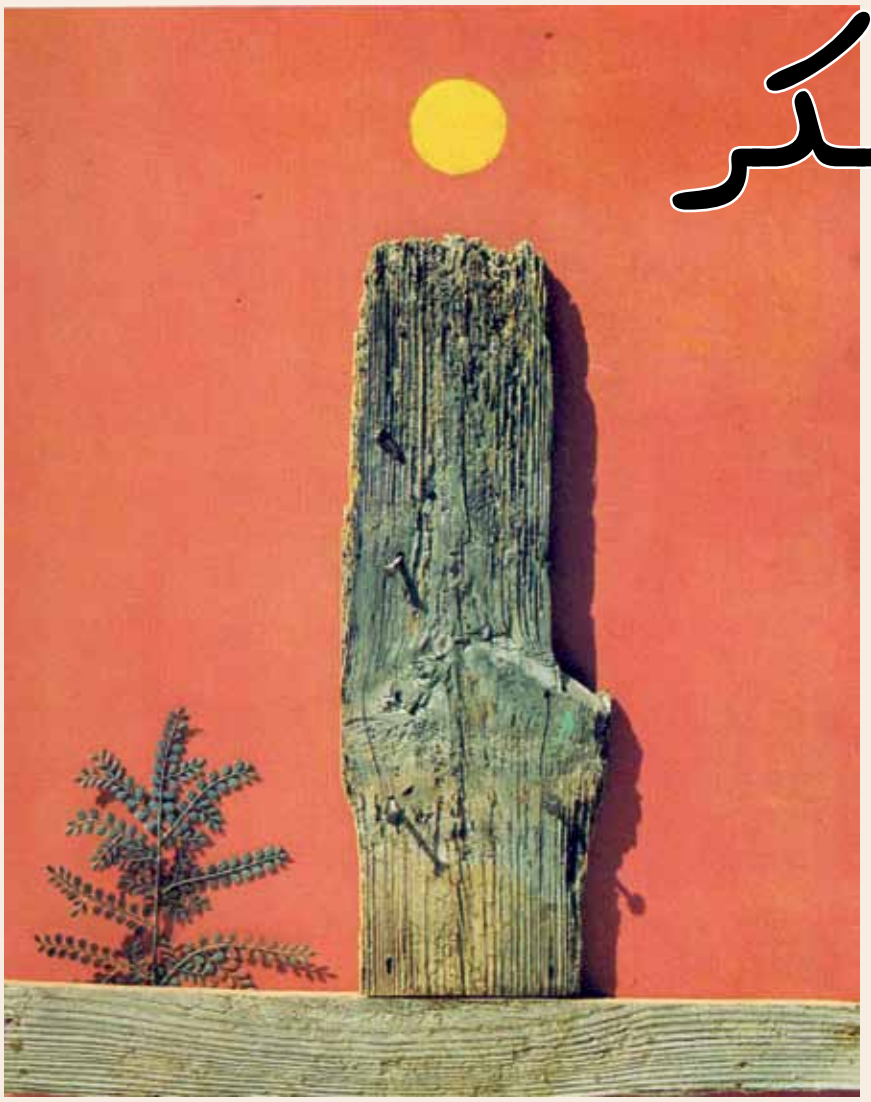

الغابة الحمراء لماكس إرنست ١٩٧٠

ترجمة وإعداد : هشام عقيل

حزب المهزومين

كل ما رأيناه هو اللون الأحمر. لكنه لم يكن إحمرار الفجر الجديد، بل احمرار الغسق.

(ماريو ترونتي، من حوار اجراه معه انتونيو نولي، ٢٠١٤)

ادراك ..

من المحرج حقاً ان أزعجك ببؤسي! لو كنت فقط أعرف كيف اؤسس لنفسي تجارة ما !. كل النظريات، صديقي العزيز، رمادية، والتجارة هي وحدها خضراء. للأسف، بدأت أدرك كل هذا في وقت متأخر جداً.

(كارل ماركس، «ساخراً»، في رسالة إلى إنجلز، ١٨٦٢)

دموع المهرجين

اشتعلت النار خلف كواليس المسرح، خرج المهرج مذعوراً يحذر الجمهور منها، اعتقدوا انها مزحة فصفقوا ضاحكين. كرر الانذار : تعالت الهتافات وضحكوا اكثر واكثر. اعتقدُ هذه بالضبط الطريقة التي سينتهي بها العالم : بتصفيق عام من ساخرين يعتقدون انها مجرد مزحة.

(كيركيغور، إما/أو، ١٨٤٣)

عش متوارياً

فهم نيتشه، كونه فيلسوفاً، ما الذي يؤسس حياة الفيلسوف. للفيلسوف صفات الزهد – التواضع، الفقر، العفة – ويجعلها وسيلة لتحقيق غاية خاصة به. لكنها، في الحقيقة، غايات ابعد ما تكون عن الزهد. انه يجعل منها تعبيراً عن فرديته. في هذه الحالة انها ليست غايات اخلاقية، او وسائلاً دينية لحياة اخرى، بل انها " اثار" الفلسفة نفسها. حيث لا توجد حياة اخرى للفيلسوف غير هذه على الاطلاق.

(جيل دولوز، سبينوزا : الفلسفة العملية، ١٩٧٠)

نبوءة

للأسف يبدو أن أحد قوانين الحركة البروليتارية في كل بقعة من بقاع العالم أن قاداتها بالضرورة يُفسدون.

(فريدريك إنجلز، من رسالة إلى ماركس، ١٨٦٩)

غد ..

" أنا كنت !، أنا أكون !، أنا سأكون !"

(روزا لكسمبورغ، من آخر ما كتبته بعد سحق الثورة وقبل اعتقالها، ١٩١٩)

مشاهدات النافذة المطلة على الضباب

هشام عقيل

((جالس مع صديقي الفيلسوف في المتنزه. يكرر، مراراً وتكراراً، وهو يشير الى هذه الشجرة القريبة منا: «هذه شجرة .. هذه شجرة .. هذه شجرة». يمر أحد المارة بنا سامعاً كل هذا، فأقول له: «هذا الرجل ليس مجنوناً .. أنه يمارس الفلسفة وحسب»)).

– لودفيغ فيتغينشتاين، حول اليقين، 1969

ما الذي يمكننا فهمه من مشاهدات عشوائية تحدق بها نافذة القطار المطلة على الضباب ؟..

الأولى: يُخبىء أشياءاً كامنة فيه، أو: أهي كامنة؟ أم مترقب يبدو ككامن؟. دوماً – فعلاً يطرح مسائل المستقبل، ماذا تُخبىء لنا كثافته نفسها؟. كلها مقاربات حسابية عائدة إلى العين – التي لا تُشيخ أبداً، أنها مثل العين التي تخبىء الليل داخلها، كما لاحظ هيغل قديماً. العاشق لا يُدرك إلا عبر ليلُ عينيه. إنها هوة تُحدق في اللامجهول. لا يمكننا رؤية كيف نرى ما نراه، ولا يمكننا رؤية ليلنا – مقلق لهذا الحد أن تدرك «الأنا» حالها المفتت والمشتت، في هذا الإغتراب الأبدي داخل المرآة نفسها. صحيح – تستطيع رؤية لمعان عينيك في إنعكاس النافذة، لكنك تضيع أبداً .. تقلق أبداً.

قال ديكنز يوماً: ((الضباب في كل مكان .. أنه في الأنهر .. والحقول .. والشوارع))، من الممكن أن نقول: الغموض في كل مكان، كل خطوة عبارة عن مخاطرة كبرى، كل خطوة قفزة نحو المجهول. ليس غريباً أن نجد في اللغة كلمات مثل: «الحيرة»، «الإيـهـام»، "الغموض"، تُعتبر مرادفة لكلمة " الضباب" نفسها. توجد في اللغة الإنكليزية كلمة مثيرة للإهتمام ابتكرها هنري انطوان دي فو : smog))، وهي عبارة عن جمع لغوي ما بين ضباب ودخان، تعبر عن الضباب الدخاني الذي يفتعله البشر، الذي تفتعله أيادي العمال في المصانع (قد يكون هذا «الإيهام» هو من صنعهم).

كم سنكون مخطئين إذا افترضنا: هناك مجهول – ما وراء هذا الضباب الدخاني الكثيف، هناك مجهول – ما بالمعنى الحرفي للكلمة .. مشهد : ضباب، له وراء – ما لكنه محجوب، أو قل: تم حجبه من قِبل عامل خارجي (الضباب نفسه). هكذا يمكن للمرء أن يلوم نفسه، آه لو اخترت هذا الطريق لحصل (هذا) و(ذاك)، آه من الجيد أنني تفاديت هذا الطريق ولو حصل (ذلك) و(هذا)، ايّ بالضبط الهذا والذاك موجودان – فعلاً إلا أنه – وجودهما – محجوب، وهذا الحجب يستدعي تكهناً، أو: عقلاً جيداً يفكك التناقضات نحو النقطة الصحيحة. لكن ماذا لو أن الأمور لم تكن هكذا ؟، ماذا لو أنه ليس هناك ما – وراء للضباب نفسه، ماذا لو كان الضباب سابقاً لما سيليه ؟، وماذا لو ما يلي الضباب هو فراغ كامل ينتظر أن يُكمل في الصيرورة نفسها.. حيث ما يأتي ما بعد الضباب هو ما صار فعلاً ؟

الغموض، اذن، لغوياً قد يدل على: الغموض في معرفة ما قد يحدث، إحتماليات متعددة.. بين (س) و(ص) الخ.. لكنها متواجدة (مثل قصيدة الطريق المهجور لفروست) كإحتماليات. أو الغموض في حقيقة أن ما سيحدث هو ما حدث – للتو أو قد حدث – تواً. أنه لم يحدث قبل حدوثه، والطريق الذي تختاره لن تندم عليه .. التكرار الأبدي يحتم عليك اللعنة الأبدية : كل ما يقع هو هدية: كل فرحة، كل لعنة. ليس هناك طريقاً حقاً أم باطلاً(نيتشه)، مستقيماً أم معوجاً، الطرق كلها تؤدي إلى لامكان (هايدغر).

يمكننا أيضاً الحديث عن نوع آخر من الضباب أو الدخان، ذلك الدخان الذي يتبع الشرارةً للنار التي يمكن أن تتقد أو لا. لا يمكنك أن تتوقع الشرارة، إنها دائماً في حالة مخلوعة، دائماً فجائية. أنت ترى ناراً تلتهب، أنت ترى دخاناً من بعيد .. أنت تؤله «الوجود». عارض هيراقليطس قديماً فكرة تأليه «الوجود»، أو للوجود وجودا حتى. كل ما هناك هو تدفق أبدي لنهر لا يمكنك أن تحط رجليك عليه أبداً، كل ما هناك هو نار تشتعل وتخبو بشكل أبدي (مفهوم النار هو أولي بالنسبة له: كل شيء معادل للنار)، كل ما هو هناك (هناك – المعطى، أو الذي يعطي، لهايدغر) هو ما تقع علينا – تقع بمعنى يحدث، بمعناه الحدثي، عرضي – الحالة. إنها عملية أبدية من الشرارات، أو: الإنحرافات، أو الكلينامينات، أو الاصطدامات – اللقاءات.

الثانية : كثير من الناس، لكن دون لقاءات بينهم. الكل يمشي بطريقة عشوائية، الكل يذهب بطريقه الخاص. نادراً ما يتصادم اثنان منهما، وسرعان ما يعتذران لبعضهما البعض ولا يدوم لقاؤهما. ونادر ما يتصادم رجلاً بإمرأة، أو إمرأة برجل، وسرعان ما يخجلان من بعضهما البعض ويسلكان دربهما الخاص.

لكن هناك مرات قليلة، في وجه كل النوادر، يصطدم رجل بإمراة ما .. وها تبدأ الشرارة. الحُب لا يبدأ أبداً، الحب دائماً يقع، أو نقع فيه. أنه يأتي من مكان مجهول، وزمان مجهول. الحُب دائماً يأتي في وقت خاطئ، ليس لأننا لا نتوقع قدومه – حيث هذا الأمر محتوم– بل لأننا لا نريد قدومه. أنه يركبنا بقدومه العنيف، ويهزنا نفسياً وجسدياً. هذا ما عبر عنه شيكسبير حين قال : ((الحُب دخان يعلو من أبخرة التنهدات ..))، ذلك يذكرنا كثيراً بما قاله دولوز عن الحدث: ((ضباب يعلو على المرج)).

الحُب بين هذين الإثنين حدثٌ اذن. شرارة تأتي من لا مكان، مربكة تماماً، مزعجة تماماً.. مخلوعة من وقتها. يلتقي هذان

العاشقان مراراً وتكراراً إلى أن تتجمد «الشرارة» (صارت ناراً)، وها هوذا واقع منجز أمامنا، كان من الممكن ألا يحدث بشكله المفكك المشتت أبداً. لولا كانت لتلك الإمرأة الجرأة لتبوح له بحبها، لولا أنها قامت بتحقيق هذا التصادف العابر لما تجمد وصار واقعاً.

يمكن للمرء أن يتحدث بالمثل عن الجنون، بما أن الجنون أيضاً يمثل الحُب، والحُب يمثل النار في مثل الوقت (بما أن كل شيء يعادل النار– أو كما قيل لموسى: إلهكم نار .. إلهكم إله غيور). العقل دائماً على حافة الجنون، أو كما لاحظ داروين أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه أن يجن، أنه شرارة تمسك بالمرء حين لا يدرك: مثل آرتو الذي فقد عقله وسط إبداعه (أو أصبح مبدعاً بجنونه)، أو فان غوخ الذي قرر في فورة (كلمة فورة تندد بمثل المعنى) إنهيار نفسي قطع إذنه، أو نيتشه الذي جن لحظة رؤية الحصان يُضرب بالسوط.

أليس غريباً أمر الشرارة؟ من حيث إنها شبيهة بالـ: العشق، والغيرة، والجنون، والثورات؟

الثالثة: الضباب بدأ يشتد ويعلو .. الساحات خالية .. المصانع مهجورة.

تهيم الأشباح هنا وهناك، كما لو مصيبة كبرى قد حدثت للتو. في الغرفة العلوية على ذلك المبنى يتجمع عدد من الشباب متعلمي الفلسفة ذاتياً يتناقشون فيما بينهم حول القضايا اليومية والمقولات الفكرية المعقدة. في المقهى يتجمع بعض الفنانين (مثلما تجمع الدادائيون قديماً في مقهى فولتير). في المدرجات طلاب وطالبات غارقين في هراء المطارق التي تنهال على رؤوسهم ..على العتبات عمال وعاملات يدخنون ويتذمرون حول حياتهم اليومية .. حتى هذه المرأة التي تطأطئ رأسها خلف سيدها.. حتى هذه القطة الضالة .. حتى هذه الذبابة.. حتى هذا الغبار.

جميعهم يمرون ببعضهم البعض دون لقاء، دون تصادم، دون تصادف.. قد يلتقي هذا بذاك، لكن لا يدوم هذا اللقاء حقاً. وقد لا يتصادمون، ولا يلتقون أبداً ولا يحدث شيئاً أبداً .. لكن ماذا لو، في لوثة شيطانية عابرة، حدث شيء ما ؟ .. ماذا لو التقى جميعهم وحدث «التصادف» هذا ؟

درس: النار لا تحدث من دون تحقق الشرارة، العُشق لا يحدث دون تحقيقه بعد الوقوع فيه، الثورات لا تحدث دون تحقيقها كنزعة واقعية موجودة، لم يكن لموسى ان يلتقي بربه إذا لم يستدعه : ((يا موسى أقدم ..)). لكن إذا لم «يتحقق» اللقاء، إذا لم يتجمد «الحدث» هذا، لن يحدث شيئاً أبداً .. ويطوف القطار بعيداً.

الآن كل ما هو موجود لقاءات عابرة .. الضباب يعلو .. والملل شديد: لكن على المرء أن يدخل وثم يفكر بما سيحدث لاحقاً، أو كما حب أن يقول نابليون:

On s›engage et puis ... on voi

[اولاً يدخل المرء في معركة جدية .. ثم يرى.

لو كان بريشت عربياً

سوسن حسن

برتولت بريشت، صاحب المسرح الملحمي تعارك ذات مرة مع صديقه الملحن كورت ويل حول أولوية كل من الموسيقى والكلمة. خلال العمل على أوبرا الثلاثة بنسات التي أحدثت فوضى في عالم النقد والإخراج، بريشت طلب مساعدة كورت حينما كانا منفيين، ليبتكر موسيقى لإنتاجه الإبداعي، وذلك الأخير كان سعيداً بهذا التعاون، ظناً بأن الموسيقى كانت ستحتل الصدارة في هذه الأوبرا. عنصر المفاجأة شاء أن يفضل بريشت كثرة الكلام على الأغاني، ما رفضه كورت بشدة وما كان سيرفضه أنطونين أرتو أيضاً لو كان شاهداً على هذه المعركة الفنية.

الكل يعرف بأن أصل الدراما هي الكلمة التي تخلق الصراع والصلح في الوقت ذاته. أنطونين أرتو كان يكره الكلمة في المسرح لأنها مأدلجة مسبقاً، وهذه الأدلجة جعلت الفكر يقود الإنسان وليس العكس. قرر هذا المبدع أن يترك المسرح على أن يعود عندما يصبح الإنسان في مرتبة أن يقود الفكر، فلم يعد.

لا أعرف ان كان أنطونين أرتو على دراية بنية بريشت، التي تضع الإنسان قبل الفكر ليقوده، لا ليصبح منقاداً، لكن هذا كان هدف بريشت الأساسي من المسرح الملحمي، حيث المشاهد هو القصة، حيث المشاهد هو المراقب، المنفعل والمساهم في تغيير مجرى الأحداث.

تأثرنا الكبير ببرتولت جعل المسرح البريطاني يبتكر ما يعرف بالمسرح الإصلاحي، رداً على عدم قدرة البشر على بناء أنظمة إصلاحية. هذا المسرح يسرد الحقيقة دون إكمالها، ويطلب من الجمهور لاحقاً المساهمة في صنع نهاية العرض، التي تأخذ وقتاً وجهداً كبيران للإنتاج.

محمد الماغوط كان ممن تأثروا بهذا النوع من المسارح ولكن على نحو آخر، هو قرر أن يفعل ما فعله بريشت، أن يظهر الحقيقة أمام الجميع باستعمال سلاح السخرية. بريشت أعلن سابقاً بأن هدفه الأساسي هو أن يكافح الفساد للإشعار به، و أن يستخدم الضحك لخدمة هذا الهدف مصرحاً بكونه سلاح لكشف الأنظمة التي تعتقد بأنها أبدية. محمد الماغوط اتخذ نفس المنهج في مسرحيات عدة مثل كاسك يا وطن، ضيعة تشرين وغيرها.

في ترجمة لي لمقطع من مسرحية كاسك يا وطن، حينما يتلقى دريد لحام اتصالاً من والده الميت ليخبره عن أخبار الوحدة العربية، رأيت تفاعلاً قوياً من زملائي ومدرستي للأدب المقارن، التي لم تكن تعرف أبداً قوة العرب في العمل المسرحي. تلك الأخيرة أخذها الذهول وطلبت مني مصادر عن محمد الماغوط الذي مع الأسف ليس له سوى ديوانٍ واحد مترجم للفرنسية، فاعتذرت إليها وأرسلت صفحة من ويكيبيديا عن الماغوط بالفرنسية. أما عن زملائي، فهم لا يعرفون بأن حال الوطن العربي كان في السالب منذ زمنٍ طويل وبأن المواطن السوري لديه من الإبداع ليصبح أكثر من لاجئ في دولهم الأوربية.

لو كان بريشت شاهداً على ابداع محمد الماغوط لصفق تصفيقاً وانحنى احتراماً لعمله الإبداعي، بل لكان قرأ كل أعماله من الشعر والرواية، ولو كان بريشت عربياً، لكان صديقاً للماغوط أكثر مما كان لكورت ويل، لأن كاتبنا السوري كان يؤمن بقدرة الإنسان على قيادة الفكر وليس بقيادة الفكر للإنسان.

شبحها ما زال يطارد الرأسمالية

أفكار كارل ماركس بين الأمس واليوم – ٢

العولمة وعدم المُساواة

دعونا نذهب إلى التنبؤ المُهِم التالي لِماركس. لقد شَرَحَ ماركس في عام ١٨٤٧ بأن إيجاد سوق عالمية يَجعل كُل الضيق والفردانية القومية أمراً مُستَحيل. كل دولة – حتى الكبيرة منها والقوية – هي الآن خاضِعة بالكامل للإقتصاد العالمي بكامِلِه، الذي يُحدد مصير الشعوب والأُمم." إن هذا التوقع النظري الفَذ يُبيّن أفضل من أي شيء آخر، تفوّق الإسلوب الماركسي الذي لا يُقاس.
تُعتبر العولمة عموماً ظاهِرة حديثة. ومع ذلك، فإن خلق سوق عالمية مُنفرِدة في ظل الرأسمالية تم التنبؤ به مُنذُ زمن بعيد على صفحات البيان الشيوعي. إن الهيمنة الساحقة للسوق العالمية هي الآن أعظم حقيقة حاسِمة في عصرنا هذا. إن الشِدة البالِغة للتقسيم الدولي للعمل مُنذُ الحرب العالمية الثانية أظهَرَت صَحة تحليلات ماركس بطريقة مُختَبَرية تقريباً.

ترجمة:
غريب عوض

بقلم: ألان وودز Alan Woods

وبالرغم من ذلك، بُذلَت جُهود جبارة لإثبات أن ماركس كان مُخطأً حينما تحدث عن تَرَكُّز رأس المال ومن ثم عملية الاستقطاب بين الطبقات. إن هذه التمارين الذهنية تستجيب لأحلام البرجوازية لإعادة اكتشاف العصر الذهبي المفقود لحُرية التجارة. وهذا يشبه، ذلك الرجل العجوز الذي يَحنُ في خَرَفِه إلى أيام شبابه.

ولسؤ الحظ، ليس هناك أدنى فُرصة للرأسمالية لتستعيد شبابها النشط. لقد دخلت طوْرها النهائي والأخير مُنذُ زمن طويل: وهو الرأسمالية الإحتكارية. بالرغم من حنين البرجوازية للماضي، غير أن أيام الشركات الصغيرة تحولت إلى الماضي ولن تعود. إن الاحتكارات الكبيرة المُرتبطة بالأعمال المصرفية في جميع الدول، والواقعة في شَرَك الدولة البرجوازية، تُهيمن على الحياة في المُجتمع. ويستمر الاستقطاب بين الطبقات دون مُعَوقات، وهو في تسارُع.

دعونا نأخذ الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية. إن أغنى 400 عائلة في الولايات المتحدة تملك من الثروة ما يُعادل ما يملكه 50٪ في المائة من النصف السُفلي من السُكان. إن ستة أفراد من ورثة شركة Wal–Mart لوحدهم يملكون من الثروة أكثر مما يملكه 30 في المائة في قاع المجتمع الأمريكي مجتمعين. ولا يملك 50 في المائة الأفقر من الأمريكيين سوى 2.5 في المائة من ثروة البلد. لقد زادت نسبة الواحد في المائة الأغنى بين سكان الولايات المتحدة من حِصتها من الدخل العام للدولة من 17.6 في المائة في عام 1978 إلى 37.1 في المائة في عام 2011.

وخلال الثلاثون عاماً الماضية أخذت الفجوة بين مَداخيل الأغنياء ومَداخيل الفُقراء تتسع بثبات إلى هاوية سحيقة. وفي الغرب الصناعي يبلغ مُتوسط دخل العشرة في المائة الأغنى من السُكان حوالى عشرة أضعاف من متوسط دخل العشر في المائة الأفقر من السُكان. وذلك فرق كبير جداً. وتُشير احصائيات نشرتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD إلى أن التفاوت الذي بدأ في الولايات المتحدة وفي المملكة المتحدة قد انتشر إلى دول مثل الدنمارك وألمانيا والسويد، والتي عادةً ما تكون بها عدم المساواة مُنخفض.

إن الثروة الفاحِشة للمصرفيين أصبحت الآن فضيحة عامة. ولكن هذه الظاهِرة لا تَقتَصر على القطاع المالي. في حالات كثيرة، يكسب المُدراء في الشركات الكبيرة 200 ضُعف أكثر مما يكسبهُ أقل العاملين أجراً لديهم. إن هذا الفرق المُفرِط قد تسبب الآن في شكاوي مُتزايدة، والتي تحولت إلى غضب وَصل إلى الشوارع في دولة بعد أُخرى. وينعكس التوتر المُتصاعد على شكل اضرابات، اضرابات عامة وتظاهُرات وحوادث شغب. وينعكس في الانتخابات عن طريق الاصوات الاحتجاجية ضد الحكومات وجميع الأحزاب القائمة، كما رأينا مؤخراً في الانتخابات العامة في إيطاليا.

أظهر استطلاعاً للرأي في مجلة التايمز بأن 54٪ لديهم رأي مُفَضل لـ# حركة إحتل Occupy movement، ويعتقد 79٪ أن الفجوة بين الأغنياء والفُقراء قد اتسعت إلى حد كبير جداً، ويعتقد 71٪ أن المؤسسات المالية يجب أن تُقاضى، ويعتقد 68٪ أن على الأغنياء دفع مزيد من الضرائب، و 27٪ فقط من يحملون الرأي المُفضل لحركة حزب الشاي (33٪ لا يفضلون ذلك). وبالتأكيد إنهُ من السابق لأوانه الحديث عن ثورة في الولايات المتحدة الأمريكية. ولكنهُ من الواضح أن أزمة الرأسمالية تُوَلِد مزاجاً مُتنامي من النقد بين فئات واسِعة من السُكان. هناك قلق وشكٌ في الرأسمالية لم يكُن موجوداً من قبل.

كارثة البَطالة

ونقرأ في البيان الشيوعي: وهنا يأتي الدليل، أن البرجوازية لم تَعُد صالِحة لتكون الطبقة الحاكمة في المُجتمع، وتفرض شروطها للبقاء على المجتمع كقانون مُسيطر. إنها لم تَعُد صالِحة لتحكُم لأنها ليست أهل لتضمن البقاء لعبيدها ضمن عبوديتَها، ولأنها لا تستطيع منعَ المجتمع من التردي إلى مثل هذه الحال، عليها أن تُطعِمه لا أن يُطعِمُها هو. لم يَعُد بوسع المجتمع العيش في كنف البرجوازية.»

لقد أصبحت كلمات ماركس وأنجلز المُقتَبسة أعلاه حقيقةً ناصِعة. هناك شعور مُتنامٍ بين جميع قطاعات المجتمع بأن حياتُنا

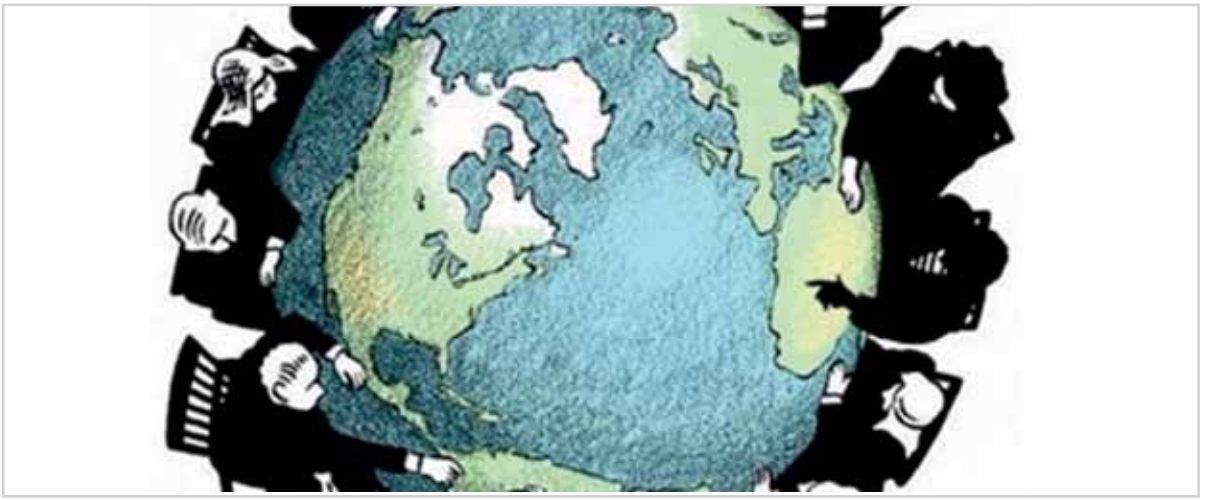

تُهيمن عليها قوى خارج إرادتنا. لقد استحوذ على المجتمع شعور مُزعج من الخوف والضياع. لقد أصبح حال عدم الأمان يَعُم المجتمع بأكمله.

إن البطالة الواسعة ما بين مئات الآلف من العُمال التي نشهدها الآن هي أسوأ بكثير عما تنبأ به ماركس. كتب ماركس عن الجيش الاحتياطي من العُمال: بِعبارةٌ أُخرى، جمع من العُمال يمكن استخدامه لإبقاء الأجور مُنخفضة ويُعتَبَرون كاحتياط عندما ينتعش الاقتصاد مرة أُخرى. ولكن مثل هذه البطالة التي نَراها الآن هي ليست الجيش الاحتياطي الذي ذكرهُ ماركس، الذي من وجهة النظر الرأسمالية، قام بدورٌ نافع.

إنها ليست ذلك النوع من البطالة الدورية التي يعرفها العُمال حق المَعرفة من الماضي والتي لا تظهر إلا في فترة الركود وتختفي حينما يتعافى الاقتصاد مرة ثانية. إنها بطالة دائمة وبُنيوية وعضوية التي لا تختفي عن الأنظار حتى حينما يكون هناك «انتعاش». إنها وزنٌ ميت الذي يعمل كالعبء الضخم فوق النشاط الإنتاجي، إنها أعراض مُرض بأَن النظام قد وصل إلى طريق مسدود.

عقدٌ من الزمن قبل أزمة عام 2008، وفقاً للأمم المُتحدة، كانت البطالة العالمية تُقارب 120 مليون. وبحلول عام 2009 وضعت منظمة العمل الدولية الرقم 198 مليون عاطل عن العمل، وتتوقع أن يصل إلى 202 مليون في عام 2013. إلا أنهُ حتى هذه الأرقام، مثلها مثل الاحصاءات الرسمية عن البطالة، تُقلل من مدى خطورة الوضع الحقيقي. إذا حسبنا الأعداد الهائلة من النساء والرجال المُضطرين لقبول جميع «الوظائف» الهامشية، فإن الرقم الحقيقي للبطالة والبطالة المُقَنَعة في العالم لن يكون أقل من 1000 مليون عاطل.

وبالرغم من كل الحديث عن الانتعاش الاقتصادي، فإن النمو الاقتصادي في ألمانيا، محطة توليد الطاقة الاقتصادية السابقة في أوروبا، قد تباطأ إلى ما يُقارب الصِفر، وكذلك فرنسا. وفي اليابان أيضاً، يتباطأ الاقتصاد إلى حد التوقف. وفعلاً بالإضافة إلى المُعاناة والبؤس الذي تُعاني منهُ ملايين العائلات، فإنهُ من وجهة نظر إقتصادية، يُقدم هذا خسارة صاعِقة من الانتاج وكساد كبير. وعلى النقيض من أوهام القيادات العُمالية في الماضي، فإن البطالة الحاشدة قد عادت وانتشرت في جميع أنحاء العالَم مثل السرطانَ الذي يَنخرُ أحشاء المُجتمع.

إن أفضع تأثيرات أزمة الرأسمالية تقع بين الشباب. ترتفع البطالة بين الشباب في كل مكان. وهذا هو سبب الاحتجاجات الطلابية الحاشدة وحوادث الشغب في بريطانيا، والتحرك الساخط في اسبانيا، واحتلال المدارس في اليونان، وكذلك الثورات في تونس ومَصر، حيثُ أن هناك 75٪ في المائة من الشباب عاطلين عن العمل.

إن عدد العاطلين في أوروبا في تزايد مُستمر. الرقم في اسبانيا يُقارب 27 في المائة، في حين بلغت نسبة العاطلين بين الشباب 55٪ في المائة، بينما ليس أقل من 62٪ في المائة من الشباب في اليونان – إثنان من كُل ثلاثة – عاطلين عن العمل. تتم التضحية بجيل كامل من الشباب على مذبح الربح. الكثيرين من مَن بحث عن الخلاص في التعليم العالي وجدوا أن هذا الطريق مسدود. ففي بريطانيا حيثُ كان التعليم العالي مجاناً فيما مضى، أما الآن فإن الشباب يجد إنهُ لكي يكتسب المهارات التي يحتاجها، لا بد أن يستدين.

وفي الطرف الآخر من ميزان العُمر، وَجَد العاملون الذين شارفوا على سن التقاعد أنهم يجب أن يعملوا ساعات أطول وأن يستلموا أجوراً أعلى من أجل رواتب تقاعد مُتدنية التي ستحكم عليهم بالفقر في شيخوختهم. إن الاحتمال الذي يواجه مُعظم الناس اليوم بالنسبة للشباب والكبار على حدٌ سواء هو عدم الشعور بالأمان مدي الحياة. لقد تم الكشف عن كل نفاق البرجوازية القديمة عن الأخلاق وقيم العائلة بأنها فارغة. إن وباء البطالة، والتَشَرُد والديون المُهلكة وعدم المُساواة الاجتماعية الصَارخة التي حوّلت جيل بأكمله إلى منبوذين قد قوضت العائلةَ وخلقت كابوساً من الفقر المُمَنهج، وفقدان الأمل، والإذلال.واليأس.

أزمة فرط الإنتاج

كان هناك في الأساطير اليونانية شخصية تُدعى بروكروستيس Procrustes الذي كانت لديه عادة سيئة القيام بقطع أرجُل ورؤوس وأذرِعة ضيوفهِ حتى تُصبِح اجسامهم بمقاس سريره سيئ الصيت. وفي زمننا هذا النظام الرأسمالي شبيه بسرير بروكروستيس. إن البرجوازية تُدمر وسائل الإنتاج بطريقة منهجية لكي تجعلها تتلاءم مع الحدود الضيقة للنظام الرأسمالي. وهذا التخريب الاقتصادي شبيه بسياسة أقطع وأحرق على مقياس واسع.

وجورج سوروس George Soros رجل الأعمال الهنغاري- الأمريكي الشَهير، يُشَبِهُهُ بِكُرَة الهدم التي تُستخدم لهدم البِنايات العالية. ولكن ليس البِنايات فقط هي التي يتم تدميرِها بل اقتصادات ودول بأكملها. إن شُعار الساعة هو، تقشُف واستقطاعات ومستويات معيشية مُتدنية. وترفع البرجوازية في كل دولة نفس صرخة الحرب: "يجب أن نُخفض الإنفاق العام!" إن كُلُ حكومة في العالم الرأسمالي يمينية أو "يسارية" هي في الواقع تتبع نفس السياسة. إن هذا ليس نتيجة لنزوات السياسيين الأفراد، أو تجاهل أو حض سيء (بالرغم من أن هناك الكثير من هذا أيضاً) وإنما هو تعبير بياني عن الطريق المسدود الذي وجد النظام الرأسمالي نفسهُ فيه.

إن هذا تعبير عن حقيقة وصول النظام الرأسمالي إلى حُدودهِ القُصوى وهو عاجزٌ عن تطوير قوى الإنتاج كما فعل في الماضي. مثلُ صبي الساحر في قصيدة الأديب الشاعر الألماني الشَهير غوته ، لقد استحضر قوى لا يستطيع السيطرة عليها. ولكن عن طريق تخفيض إنفاق الدولة، هم في نفس الوقت يخفضون الطلب ويلغون السوق بكامِلهِ، تماماً في الوقت الذي حتى خُبراء البرجوازية الاقتصاديون يعترفون بأن هناك مُشكلة خطيرة تتمثل في فَرْط الإنتاج على مُستوى عالمي. دعونا نأخذ مثالاً واحداً فقط، قطاع المرْكبات (السيارات). إن هذا أساسي لأنهُ مُرتَبِطٌ أيضاً بقِطاعات أُخرى كثيرة، مثل الفولاذ والبلاستك والكيماويات والالكترونيات.

إن القدرة الزائدة العالمية لصناعة المركبات (السيارات) هي ثلاثون في المائة تقريباً. وهذا معناه أن شَركة فورد لصناعة السيارات وجنرال موتور وشركة فيات الإيطالية ورينو الفرنسية وتويوتا اليابانية وجميع الآخرين قد يغلقون ثُلث مصانعهم ويُسرحون ثُلث الأيدي العاملة لديهم غداً، ومع ذلك لن يتمكنوا من بيع جميع المركبات التي ينتجونها بنسبة رُبح تُعتبر مقبولة لديهُم. ونفس الموقف موجود في قطاعات أُخرى عديدة. وما لم يتم وحتى يتم حل مشكلة القدرة الزائدة، فإنهُ لا يمكن أن يكون هناك نهاية حقيقية للأزمة الراهنة.

إن لُغْز الرأسمالية يمكن تفسيرهُ ببساطة. إذا كانت أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مُتَوقفتان عن الاستهلاك، فإن الصين لا تستطيع أن تنتج. وإذا كانت الصين لا تنتج بنفس السُرعة كما كانت في السابق، فإن دولٌ مثل البرازيل والأرجنتين وأستراليا ليس بوسعها الاستمرار في تصدير موادها الخام. إن العالَم بأكمله مُترابط فيما بينه دون انفصام. فأزمة عُملة اليورو سوف يتأثر بها اقتصاد الولايات المتحدة، والذي هو في حالة هزيلة، وما يحدث في الولايات المتحدة سوف يترتب عليه تأثير حاسم على كامل الاقتصاد العالمي. وهكذا، تُظهِر العولمة نفسها كأزمة عالمية للرأسمالية.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 111 ـ فبراير 2017 السنة الخامسة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

د. حسن مدن

ترامب و«عولمة» أمريكا

ليس دونالد ترامب الرجل الثري الوحيد الذي أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وسيداً للبيت الأبيض، ورغم ذلك جرى تصوير ترشحه، ومن ثم فوزه، بصفته رجل أعمال ثرياً كسابقة في تاريخ منصب الرئاسة في الولايات المتحدة، لكن نظرة على هذا التاريخ تظهر أنه قد سبق ترامب إلى البيت الأبيض عدد من الرؤساء الأثرياء، ومن أصحاب الأعمال.

أغنى الرؤساء الأمريكيين هو أول رئيس للبلاد جورج واشنطن الذي كان يحظى بـ2٪ من ميزانية الدولة عام 1789، وكان أيضاً مزارعاً محظوظاً تحت تصرفه ثلاثمئة من الرقيق في مزرعته بولاية فرجيني، ومن الرؤساء الأثرياء جون كيندي الذي ورث ثروة والده الكبيرة التي بناها من عمله في سوق البورصة، ومن التهريب في فترة الحظر، ويضاف إلى ثروته ما ورثته زوجته من عائلتها الثرية.

ولا يمكن إغفال ثروة آل بوش الذين قدموا رئيسين للولايات المتحدة هما جورج بوش، الأب والابن، اللذين ارتبط اسمهما بشن حروب طاحنة على العراق وأفغانستان، وكانا الواجهتين اللتين نفذ عبرهما المحافظون الجدد سياساتهم عبر العالم، بعد أن أمسكوا بمفاصل صنع القرار، وتعتبر عائلة بوش، اليوم، أقوى عائلة سياسية في الولايات المتحدة، ولديها ثروات ضخمة في البنوك والنفط، وجربت العائلة أن تدفع بجيب بوش حاكم فلوريدا السابق كمرشح عن الحزب الجمهوري في الانتخابات الأمريكية الأخيرة، لكن هذه المحاولة منيت بالإخفاق.

وترامب أيضاً ليس هو الرئيس الأمريكي الأول أو الوحيد الذي يعمل وفق شعار وسياسة: أمريكا أولاً، فما من رئيس أمريكي سابق له إلا وكان يعمل وفق شعار: أمريكا أولاً، حتى لو لم يدغدغ مشاعر الجمهور بهاتين الكلمتين على نحو ما فعل ويفعل، وبمهارة، ترامب.

لم يأتِ إلى البيت الأبيض رئيس يعمل على الضد من مصالح أمريكا، فهذا أمر غير مسموح به، لكن مصالح أمريكا ليست مفهوماً جامداً، فهي تتبدل وفق متغيرات الوضع الدولي، وهو وضع وإن استقر على حال لفترة قد تمتد عقوداً، فهذه الفترة ليست أبدية، حين تنشأ وقائع جديدة تفرض تبدل الأحوال.

ترامب يأتي في ظرف متحول. ومثل أسلافه يعمل بقاعدة: أمريكا أولاً، ولكن أمريكا لم تعد الوحيدة الآمرة الناهية في عالم اليوم كما كانت عليه قبل عقدين أو ثلاثة. ولا يدور الحديث هنا عن قوتها العسكرية الضاربة التي تظل الأكبر والأخطر في العالم كله، وإنما عن عوامل ضعف أخرى طالت أداءها على المستوى العالمي، وخاصة على الجبهة الاقتصادية، حيث تبرز منافسة قوية لها مثالها الأبرز هو الصين الصاعدة كالصاروخ.

يراقب صناع القرار الأمريكان هذه التحولات بأسى، ولكنهم يتهربون من الإقرار بأن مستجدات الوضع الدولي تقتضي إعادة النظر في فكرة: أمريكا أولاً وأمريكا آخراً، لا بالتطرف فيها عبر ابتزاز الحلفاء بالتهديد برفع اليد عنهم إن لم يدفعوا لأمريكا ما تعتبره كلفة حمايتهم، ويبدو الحلفاء الأوروبيون أول المستهدفين بهذا الابتزاز.

لم تحم أمريكا أحداً في العالم محبة فيه، وإنما حرصاً على مصالحها. الحلفاء المحميون كانوا ضرورة لأمن أمريكا ذاتها، وابتزازهم بالدفع لن يعيد أمريكا العظيمة، لأن مياهاً كثيرة جرت وتجري تحت جسور السياسة، بسببها ظهر عظماء آخرون يصعب قهرهم.

أكثر، وأشد، أنواع هجاء العولمة شيوعاً هو ذاك الذي ينعتها بالأمركة، فكأننا حين نتحدث عن "عولمة" العالم يكون قصدنا "أمركته". ومع ان هذا الهجاء تنقصه الدقة في الكثير من أوجهه، لكنه غير خال تماماً من الوجاهة، على الأقل من زاوية واحدة كبيرة الأهمية، هي أن الصعود المدوي لعولمة العالم في العقدين أو الثلاثة المنقضية، تزامن مع الهيمنة شبه المطلقة للولايات المتحدة الأمريكية على العالم، بعد انهيار ثنائية القطبين العالميين مع انهيار الاتحاد السوفيتي، وما تلا ذلك من تقهقر مكانة روسيا، عموده الفقري، وانشغال الصين بترتيب بيتها الداخلي أولاً، بصمت، وبعيداً عن الاستعراض، وتحاشي التنطح لأدوار عالمية لم تكن تجد إن لحظتها قد أزفت بعد.

لكن ما من شيء ثابتٍ على حاله. الثابت الوحيد في الدنيا هو التغيير.

روسيا التي خرجت متهالكة واهنة القوى بعد سباق الحرب الباردة الطويل لم تعد كذلك، وحتى لو لم تستعد سالف المجد السوفيتي، لكنها باتت قوة كبرى قادرة على منازلة الهيمنة الأميركية في أكثر من منطقة، بينها منطقتنا العربية مثالاً، وفي يدي فلاديمير بوتين أوراق قوة لا يصح الاستخفاف بها يرميها وقت يشاء.

الصين هي الأخرى كفت عن أن تكون الدولة المنكفئة على نفسها، المنصرفة لشأنها التنموي الداخلي، فهي اليوم تتصرف بمنطق القوة العالمية التي ليس بالوسع تجاهل كلمتها، ما فرض تغييراً في الاستراتيجيات الأمنية والدفاعية الأمريكية لتتوجه نحو آسيا البعيدة، حيث تأتي مؤشرات جادة على أن عالم القطب الواحد ينتهي أو يوشك على الانتهاء.

يمكن الحديث هنا أيضاً عن الصعود الألماني، فلعل هذه الدولة، باستعادة وحدتها، كانت أكثر المستفيدين من نهاية الحرب الباردة، لجهة استعادة دورها المحوري لا في أوروبا وحدها وإنما في العالم كله، حتى لو ظلت مقصية من حق العضوية الدائمة في مجلس الأمن.

إلى ذلك كله تواجه الهيمنة الأمريكية على مناطق نفوذها صعوبات جمة. فهي لا تحظى بالقبول في كل مكان تعتقد واشنطن إنها تسيطر عليه. باحث امريكي قال مرة ما مفاده: كون الاخرين يشربون الكوكاكولا ويلبسون الجينز لا يعني ان تفكيرهم بات أمريكيا أو إنهم يستسيغون السياسات الامريكية.

غاية القول أن العولمة لم تعد أمريكية. العالم يتعولم بألوان سياسية وثقافية متعددة، وفي كلمات أخرى: لقد حانت اللحظة التي لن يعود ممكناً بعدها أن يدار العالم من مركز واحد. ثمة مراكز قوة كبرى تتشكل وتؤثر، لكن الناقص في هذا هو أن تعترف الولايات المتحدة بحاجتها، هي، إلى أن "تتعولم"، وتكف عن حلم "أمركة" الآخرين.